المشرق

المقتطف ومذهب النشوء والعلماء اليسوعيّون

نبذة انتقادية للاب لويس شيخو اليسوعي

اراد صاحب مجلّة المقتطف ان يرشقنا بسهمنا فزعم ان مجلّة المشرق ارتأت انّ الكنيسة الكاثوليكيّة تنكر مذهب النشوء المعروف بمذهب درون انكارًا تامًّا وتكفّر معتقديهِ وان اليسوعيين كلهم يقولون قولها . فوضع في ابريل ١٩٢٦ (ص ٤١٤ــ٤١٥) مقالةً صغيرة تحت عنوان « مذهب النشوء والعلماء اليسوعيّون » نقل فيها اقوال بعض علماء الكاثوليك وبينهم يسوعيّان الذين على زعمهِ يناقضون رأينا فنقول :

﴿اوّلًا﴾ انّ صاحب المقتطف بنبذتهِ المذكورة عاد بلا داعٍ الى ذكر ما لا علاقة لهُ مع مسألة النشوء والدروينيّة فذكر الابوَين (لا الاخوَين كما قال) جيرارد (Gérard) وهول (Hull) وما قالاهُ عن حكم المجمع المقدّس في امر غليليو الفلكيّ . وقد عالجنا سابقاً هذا الموضوع في المشرق ٩ [١٩٠٦] : ١٧٨ــ١٨٥) وبيّنّا ان الكنيسة ما كانت لتحكم على غليلاي في قولهِ عن دوران الارض حول الشمس كما لم تحكم على الكاهن كوبرنيك والعلّامة جان ثرمشتاد لولا ما حاولهُ غليلاي من شرح الكتاب المقدّس وهو رجل عالمي لا يعنيهِ ذلك فبرز عليهِ الحكم لعنادهِ خصوصاً

﴿ثانياً﴾ كان من الواجب على مجلّة المقتطف ان تذكر كلام مجلّة المشرق بحرفهِ قبل ان تنسب الينا تكفير الذين لم يرتأوا رأينا . فانّ مجلة المشرق لم تكفّر إلّا رأي

المتطرّفين من الدروينيّين الذين ينكرون وجود الخالق ويجعلون الكائنات ازليّة كهيكل الالماني وشيعته من الدهريين. امّا مذهب المعتدلين من الدروينيّين المعتقدين وجود الله وتكوين المخلوقات وتدبيرها بعنايته في تسلسلها وتطوّر انواعها من تلقاء ذاتها فانّ مجلّة المشرق لم تكفّره وانّما فنّدته تفنيداً علمياً في عدّة مقالات لحضرة الاب اسكندر طوران (المشرق ١٩ [١٩٢١] : ٦٠٠ و٦٥٩ و٧٣٩ و٨١٤ و٩٠٨) ولم تحاول مجلّة المقتطف الردّ على ادلّة حضرة الكاتب وبراهينه ودونك ما كتبه الاب المذكور (١٩ ص ٩١٠) في مذهب الدروينيّين المعتدلين :

« اما رأي الدروينيين المعتقدين وجود الخالق والقائلين بتطوّر الانواع في الحيوان والنبات لفهم ان ذلك يبيّن على وجه افضل ترقي الكائنات وتسلسلها بعد خروجها اوّلاً من يد الخالق فانّ ذلك ينفي اضاليل الملاديين ولكنهُ ايضاً زعمٌ وتخمين يردّ الاختبارُ معظم ما يتشبّث بهِ هؤلاء من الادلة وهم يفترضون عدّة افتراضات ويعتبرونها كحقائق علميّة راهنة دون ان يثبتوها بالواقع. وهذا بناقي الاساليب العلمية . . . »

فنرى انّ هذا الكلام بعيد عن التكفير فان اتى العلماء الاثبات بالادلّة لبيان رأيهم رضخنا لهُ بطيب الخاطر . اذ ليس مناقضة بين العلم والدين. وهيهات ان يتّفق العلماء على هذا الرأي

﴿ثالثاً﴾ ان ما ذكرهُ عن حضرة الاب وسبان اليسوعي الطبيعي الشهير هو من قبَل الاعتدال. ومن المعلوم انّهُ كشف مع عدّة علماء خداعَ هيكل في تصويره لأجنّة حيوانات زعم انها للبشر بتزوير فاحش وكانت مجلّة المقتطف وقتئذٍ حاولت الدفاع عنهُ فافحمناها (المشرق ١٣ [١٩١٠] : ٢٣٨ و٣٩٨ و٩١٩). ومثل هذا قولنا عن الاب (لا الاخ) همرستين اليسوعي وعن القانوني دورلودوت (Henry de Dorlodot) وليس هو يسوعيًّا. وفي سماح الرؤساء بطبع كتب هؤلاء دليل واضح على سَعَة افكار الكنيسة الكاثوليكية ونيّتها بأنّها لا تعيق العلماء في ابحاثهم وإن لم تُفتِ بصحّة اقوالهم او نَفيها بتاتاً

﴿رابعاً﴾ وبهذه النسبة كنّا وددنا لو انكرت مجلّة المقتطف كثيرًا من مزاعمها السابقة المُشعرة بمذهب الملاديين والمناقضة لمذهب الدروينيّين المعتدلين. فكم قالت بمادّيّة العقل فجعلتهُ مجموع افعال الدماغ والاعصاب (المشرق ١ [١٨٩٨] : ١٠٠٩ —

١٠١٥) وزعمت «انَّ الضمير جراثيم تظهر في الطفل بعد ولادته» (المشرق ٢ [١٨٩٩]: ٩٩٣ــ٩٩٦) وانَّ الضمير يوزَن كالاثقال (المشرق ٤ [١٩٠١] : ٩٥٦) . ولمَّا ردَّت مجلَّتنا على درويئيَّة المقتطف لم تفند درويئيَّة معتدلة كالتي يقول بها بعض الكاثوليك بل درويئيَّة متطرِّفة (راجع المشرق ٣ [١٩٠٠] : ١٣٩ و٥٥٣ــ٥٧٤) كما انَّها زيَّفت اقوال المقتطف في التوليد الذاتي (المشرق ١٧ [١٩١٤]: ٤٥٨ــ٥٥٠)

﴿خامساً﴾ ان العلماء الكاثوليكيين دون اختلاف البتَّة حتى القائلين بالدرويئيَّة المعتدلة يتَّفقون على انَّ الله وحده يخلق النفس البشريَّة ويجعلها في الجسم المُعدّ لها سواء قيل إنَّ الجسم البشري تطوَّر من المواليد السابقة كالنبات والحيوان ام انَّ الله خلقهُ رأساً وانَّ هذه النفس مجرَّدةٌ عن الهيولي روحيَّة خالدة كما بيَّنهُ حضرة الاب انطون صالحاني في ردوده على المقتطف في مقالاته المشتعة «قبل الولادة وبعد الموت» (المشرق ٩ [١٩٠٦] : ١ و١٠١٥ ثم ١٠ [١٩٠٧] : ٣٦٤)

﴿سادساً﴾ ويحسن بنا مع ذلك بان نقول ان الكنيسة الكاثوليكيَّة وان لم تكفِّر الدرويئيَّة المعتدلة إلَّا انَّ اللجنة البابويَّة المقامة لمراقبة الدروس الكتابيَّة في ٣٠ من حزيران سنة ١٩٠٩ وضعت عدَّة فتاوى في فصول كتاب التكوين العشرة الاولى وشرحها شرحاً تاريخيًّا تدلُّ على انَّها لا ترى في هذه الفصول تأييداً للمذهب الدرويني المعتدل وان لم تكفِّرهُ وهناك خبر تكوين الله عزَّ وجلَّ لجسد آدم من التراب ما لم يُقَلْ ان ذلك ورد مجازاً لا حقيقةً فعلينا اذن ان ننتظر ريثما يثبت لنا العلماء ببراهين قاطعة مدَّعى الدرويئيين في تطوُّر الجسم البشري من النبات الى الحيوان الى الانسان فتحكم به الكنيسة حكماً فصلاً . وكلّ آتٍ لصاحبه قريب

وخلاصة القول انَّهُ لا بُدَّ من اعتقاد وجود الخالق وتكوينهِ للكائنات مباشرةً وخلقهِ النفس البشريَّة تراً دون وسيط . اما تكوين الجسد أكان بفعلهِ تعالى رأساً كما يلوح من كلام سفر التكوين وتفسير الآباء ام كان بتهيئتهِ لمادَّة تتسلسل وتترقى بقوَّة فعلهِ تعالى السابق حتى اذا بلغت قبولها للنفس البشريَّة في بعض الحيوانات اوجدها الله بهِ فتلك مسألة لم تحدّدها الكنيسة بعد وان كانت اظهرت لجنتُها انَّها تفهم آيات سفر التكوين بخصوص خلق الله للجسد في معناها الحقيقي لا المجازي

مدرسة القديس يوسف السريانيَّة المارونيَّة في القاهرة

للاديب يوسف افندي المدوَّر

توطئة

لقد جاء في جزء شهر تشرين الاول من السنة الثالثة والعشرين لمجلة المشرق الغرَّاء (ص ٧٥٠ــ٧٥٥) مقالةٌ عن «الطائفة السريانيَّة المارونية في القطر المصري» وهي حلقة من سلسلة مقالات تاريخيَّة نشرها حضرة الاب اسحق ارملة واورد فيها اموراً كثيرة عن تاريخ السريان في القطر المصري. اما هذه الحلقة التي نحن في صددها فقد خصَّها حضرته بذكر السريان الموارنة، فجاء على تاريخ نزولهم في مصر وما ادَّوه للبلاد التي اضافتهم من خدم علمية وادبية ومادّية فاصبحت وطناً ثانياً لهم، ثم استطرد حضرة الناشر الى ذكر ما للموارنة من المؤسسات الخيرية والكنائس وعدَّد بعض رؤساء رسالتهم الرهبانيَّة القائمة بخدمتهم الروحية. وذكر ايضاً كنائسهم القديمة وما كان حضرتهُ ليسعى ان يصف مدرسة القديس يوسف السريانيَّة المارونيَّة التي هي حاضراً في عاصمة القطر المصري وانَّما تأخَّرت عنهُ المعلومات التي كان موعوداً بها فلم يسعهُ ذكرها. ومن ثمَّ أردنا انشاء هذه النبذة التاريخيَّة عنها فنجعلها كقلادة في طرف سلسلة مقالات الاب ارملة «السريان في القطر المصري» ومسك ختام لها:

انشاء مدرسة القديس يوسف

في اواخر سنة ١٩٠٤ وفد الى مصر من لبنان ذلك الحبر الكبير المثلث الرحمات المطران يوسف ذريان مستناباً من غبطة السيد البطريرك الجالس سعيداً مار الياس بطرس الحويك لادارة شؤون الطائفة المارونية في الروحيات والزمنيات، فاقام في

الدار التي كان سبق فابتاعها المرحوم الكونت خليل صعب اللبناني ليوقفها على طائفته المارونية مركزاً للدطرانية والنيابة البطريركية ، فاخذ المطران يسعى بترميم الطابق السفلي من تلك الدار لاجل إعدادها مدرسةً ابتدائية تضمّ اليها ابنـاء الموارنة في هذه العاصمة . وفي شهر حزيران من سنة ١٩٠٦ قد وقف الكونت صعب الـدار وما حولها من الارض فاضحت ملكاً شرعياً للطائفة ومركزاً لمطرانها ، فاحتُفل آنئذ بفتح المدرسة وتولى رئاستها الخوري بولس قرآلي الحلبي ، فأمّها في ذلـك الحين من الطلبة ما يربو عن المئة عدداً من متفرّق الطوائف السورية بين سريان موارنة وسريان كاثوليك وارمن وملكيين ، ولم يحجم اخواننا المصريون من الاقباط عن ارسال بنيهم لارتشاف افاويق العلوم من هذه المدرسة ، اذ يجنون من روضتها ثمار الفضائل والتهذيب والتعاليم المسيحيّة مع اللغتين العربية والافرنسيّة . ولما رأى ذاك الطيّب الذكر ان البناء القديم المشترى يضيق عن استيعاب دائرة النيابة البطريركيّة والمدرسة امر ببناء الجانح الجنوبي المؤلف من طابقين جُعلت العليا منها منامة للتلامذة الداخليين

والمدرسة رتاج خارجي خلاف مدخـل دار النيـابة البطريركية مبني بالحجر النحيت يعلوه الشعار البطريركي الذي يُقرأ فيه تلك الآية الذهبيّة أمـصـــل وخلصني لأجل اسمك اي لقد أُعطيَ مجدَ لبنان

اتباع المدرسة لمنهاج وزارة المعارف المصرية

ولم تطل رئاسة الاب قرآلي على المدرسة فاستقـال ، فعُيّن النـائب البطريركي المرحوم الخوري شكرالله الشدياق رئيساً لها ، فقام بما عُهد به اليه ؛ الّا انه لـدواعٍ صحيّة اضطر ان يعتزل الرئاسة ، فعهد سيادة المطران يوسف دريان بهـا الى حضرة الخوري بولس رزق مرهج (١ فنهض باعباء ادارة المدرسة بمـا عُرف بهِ من الهمّـة والنشاط وبما فُطر عليهِ من العزم وماكن الارادة ، فجدَّ وصرف كل عنايتهُ في السعي لترقية المدرسة ورفع منارها ؛ فقرر تدريس اللغة الانكليزية بطريقة اجبارية وعهـد بتلقينها الى اساتذة مشهود لهم بالمهارة في فنّ التعليم . ثم سار بالتعليم على منهاج وزارة

١) الخوري الاسقفي والوكيل البطريركي حالاً

المعارف المصرية. اما تدريس اللغتين العربيّة والافرنسيّة والرياضيات فيقوم به اساتذة افاضل من اكليروس الطائفة أتي بهم من لبنان. واذ رأى الرئيس الحالي اقبال الناشئة على المدرسة عمل على توسيع اماكنها، فبنى بعض الغرف وانشأ فيها صفوفاً متوسطة تنتهي بتأدية الامتحان في وزارة المعارف لنوال الشهادة المعروفة «بالكفاءة» كما سيجيء وصفه

وفاة منشئ المدرسة

وفي ربيع سنة ١٩٢٠ مُنيت المدرسة بفقد رئيسها الحبر الكبير المثلث الرحمات المطران يوسف دريان فكانت وفاته صدمة عنيفة لها بما شمل قلوب الاساتذة والطلبة من الاسى والحزن على خسارة من كان لهم نبراساً نيّراً، وقائداً حكيماً، وراعياً صالحاً، فوقفت لحظةً بكت فيها على فقد منشئها العزيز. على ان همة رئيسها الفضال التي لا تني ولا تعرف الكلل لم تكن تلك الصدمة لتؤثر بها كل التأثير وتوقف المدرسة عن سيرها المطّرد. بل اخذ هذا الرئيس العامل، منذ فوضت اليه الوكالة البطريركيّة وثُبّت رئيساً على المدرسة، يواصل الجدّ والعناية في رفعة شأنها ليرقيها الى مستوى المدارس الكبرى في القاهرة

اقسام المدرسة

تشتمل مدرسة القديس يوسف على ثلاثة اقسام: «روضة الاطفال» وهي ما يعبَّر عنه في مصر بالقسم التحضيري، ومدّتها سنتان يكون الصبي في نهايتها عارفاً مبادئ التعليم المسيحي والصلوات الواجبة تلاوتها يومياً ومُلمّاً بالقراءة البسيطة وقادراً على الكتابة وعارفاً بعض قواعد حسابيّة ابتدائيّة. ويحتوي هذا القسم في هذه السنة نحو ثمانين صغيراً

«والقسم الابتدائي» ومدته اربع سنوات في نهايتها يؤدي التلامذة الامتحان في وزارة المعارف فينالون الشهادة الابتدائية المسماة «بالكفاءة» التي تؤهلهم الى الحصول على مراكز في المحلّات الماليّة او في دوائر الحكومة بوظائف متوسطة. ويضمّ هذا القسم ما يقرب من ٢٥٠ تلميذاً

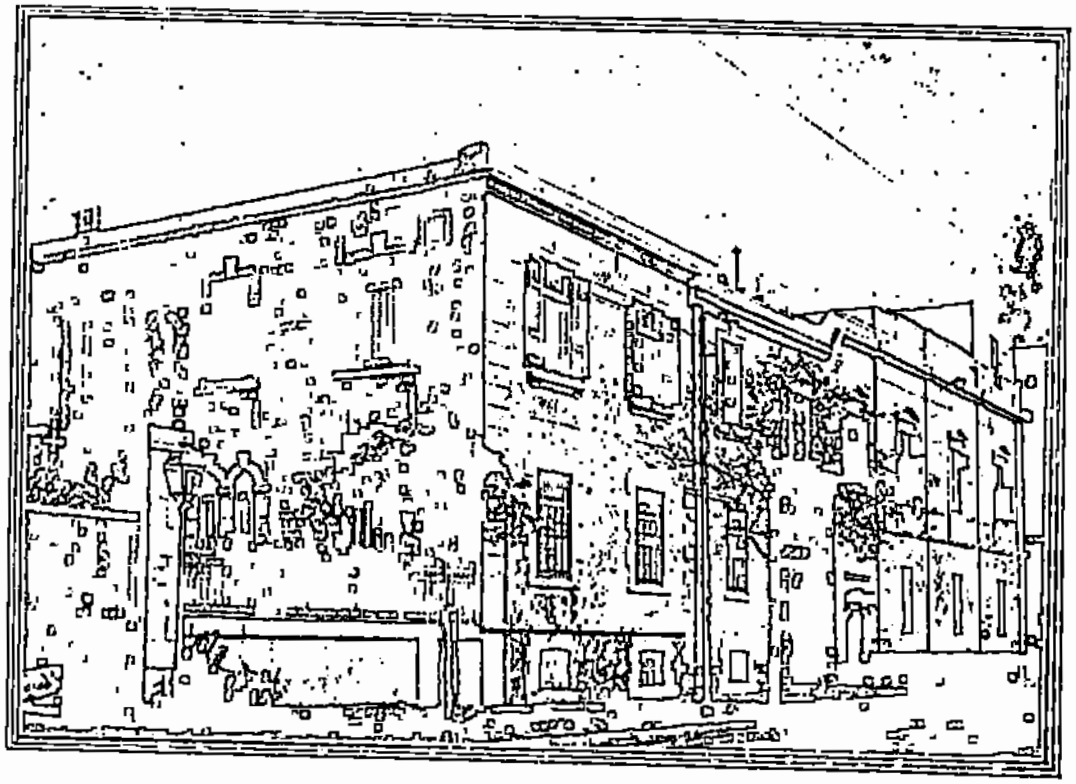

مدرسة القديس يوسف السريانيّة المارونيّة في القاهرة

ومنذ السنة المنصرمة انشأت ادارة المدرسة ﴿القسم الثانوي﴾ الذي مدته سنتان في آخرهما يؤدي الطلبة الامتحان لنوال شهادة وزارة المعارف العمومية (البكلوريا) وعدد طلبة هذا القسم ٣٣ طالباً . فيكون مجموع طلبة المدرسة الحاليين ٣٦٣ بينهم نحو ١٥ في المائة يتلقّون العلوم اما مجاناً واما بتخفيض ٥٠ في المئة من الاجور المقررة، وهؤلاء تقدّمهم جميعاً الطوائف الكاثوليكيّة الخيرية التي تؤدي عنهم الاجرة المخفّضة ، بشرط ان يكونوا ينتمون الى عائلات كاثوليكيّة . بيد انّه لا فرق في التعليم بين من يؤدون الاجور كاملة ومن يدفعونها مخفضة بل جميعهم يجلسون في قاعة واحدة ويتلقون العلوم على معلّم واحد

وفي المدرسة ﴿فرع داخلي﴾ يضم نحو ثلاثين تلميذاً ، ولو ان سعة المدرسة تسمح بقبول الداخليين لكانوا اكثر عدداً

وانا لننشر هنا جدولاً يبين للقارئ اجلى بيان نتيجة الامتحانات التي ادّاها تلاميذ المدرسة المارونية المنتمون امام لجنة وزارة المعارف العمومية مدة السنوات الست الاخيرة إظهاراً للسابقية التي حازتها مدرستنا بمعزل عن المدارس الاخرى التي من درجتها . وقد تكرمت بهذا الجدول ادارة المدرسة نقلاً عن سجلّاتها :

السنة	١٩٢٠	١٩٢١	١٩٢٢	١٩٢٣	١٩٢٤	١٩٢٥
المتحنون	٨	١١	٢٠	١٧	١٨	١٨
الناجحون	٧	٩	١٤	١١	١٤	١١

فتكون النسبة متراوحة بين ٨٥ــ٧٠ في المئة ، في حين ان النسبة المئوية للامتحانات العمومية تتراوح بين ٣٩و٢٨ في المئة

اما الطلبة الذين نالوا شهاداتهم ولم يطرقوا باب الاستخدام بل احبّوا اتمام دروسهم العالية فيقبلون في مدرسة العائلة المقدسة للآباء اليسوعيين اذا هم اختاروا القسم الافرنسي ، واما الذين يختارون القسم الانكليزي فيدخلون مدارس الحكومة المصرية ، وفي كلتا الجهتين يُعرف خرّيجو المدرسة المارونيّة بحسن اخلاقهم وآدابهم ، اذ هم قدوة حسنى باجتهادهم وحصولهم على اعلى الدرجات

اوقات التدريس

يتمرّض الداخليون من نومهم في منتصف الساعة السادسة صباحاً ، ويحضر الخارجيّون منذ الساعة السابعة فيسمعون القداس الالهي في الساعة السابعة والنصف. امّا النهار فقسم الى ساعات تدريس ورياضة بدنية وتنزه ، على ان الخارجيّين لا يبارحون المدرسة الّا متى آذنت الساعة السابعة مساء ، بحيث انهم يدرسون امثولاتهم ويكتبون تمارينهم وفروضهم في المدرسة تحت نظارة الاساتذة. الّا انهم يعطّون في منتصف النهار ساعةً ونصف الساعة لمناولة طعام الغداء في منازلهم اذا كانوا ليسوا ممن يتناولونهُ على مائدة المدرسة. وعليه فتكون مدة العمل من الساعة السابعة صباحاً الى السابعة مساء ، يتخلّلها انصاف ساعات تنزّه متفرّقة ؛ بهذا يصبح الطالب متمرناً على المحافظة على اوقاته ، محباً للعمل ، غير متضجّر من كثرته . وقد اشتهر خرّيجو مدرسة القديس يوسف المارونيّة بهذه الخلال الحميدة في المراكز التي شغلوها فكانوا قدوة لرصفائهم في الميل الى العمل واستحقوا ثناء رؤسائهم

الطقوس الكنسيّة واللغة السريانية

في المدرسة فرقة مؤلفة من التلامذة الذين لهم ميل الى الموسيقى واهلية لذلك. فيتمرّنون ما لايقلّ عن الساعة يوميًا على انشاد الالحان الكنائسيّة خدمة القداس وغيرها من الاحتفالات ، يقوم بتلقينهم هذا الفن حضرة رئيس المدرسة نفسه فهو من ذوي الخبرة في الطقوس والموسيقى الكنسيّة ، وقد وضع الحاناً لبعض المزامير الداودية ، التي تُرتّل في الاعياد الدارخة موقعةً ايقاعاً جميلًا يسترعي السمع ويهيب بالقلب الى الخشوع ، دون ان يخرج عمّا هو مألوف ويسمى نغماً كنائسيا . على ان حضرته في تمرينه فرقة الترتيل لم يُهمل الالحان الكنائسيّة القديمة المشهورة في مراكز الطائفة بل ينتخب منها ما حسُن ولذّ سماعهُ ، وحيثما وجد بعض الخلل اصلحهُ ورتّبه فيصبح النغم مطابقاً لضرورات الفنّ دون ان يبتعد عن بساطة وجمال الانغام الدينيّة والترتيبات الطقسيّة ؛ ولهذا فالحفلات الدينيّة التي تقام في كنيسة النيابة البطريركية المارونيّة انما هي على غاية من الرونق والنظام ، جامعة لابهة الطقوس الشرقيّة ، يشعر من يحضرها

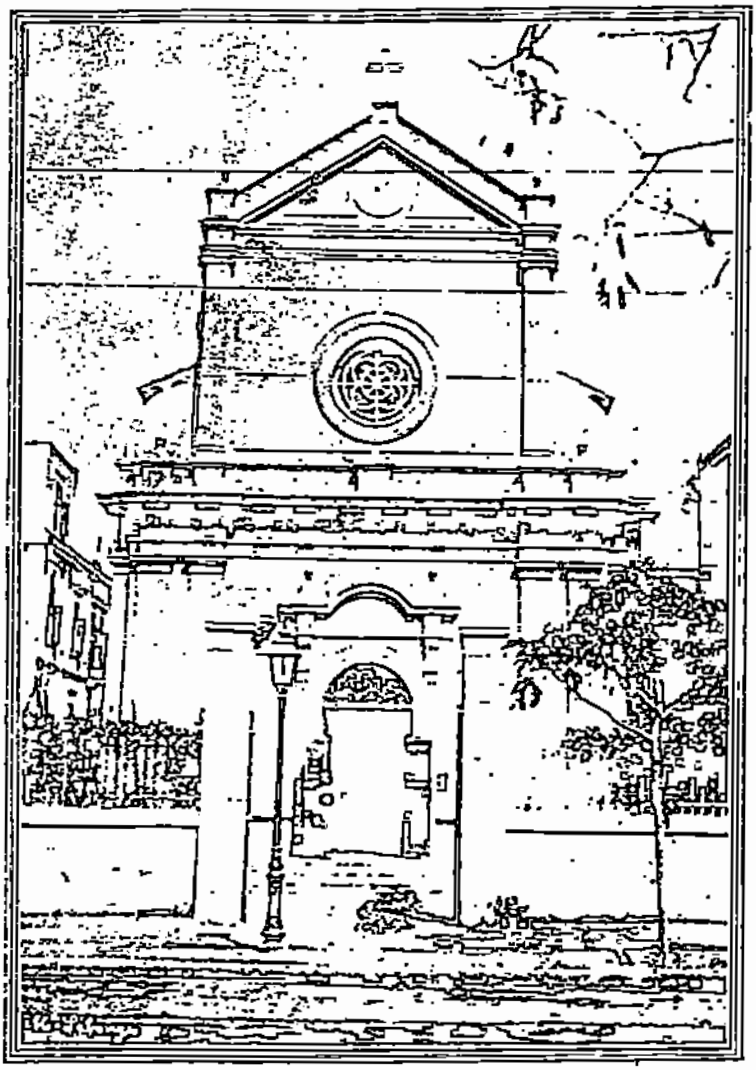

واجهة كنيسة العائلة المقدسة المارونية
في القاهرة

باخبات وخشوع عظيمين مع لذة السماع لانشاد فرقة الترتيل الموقع احسن ايقاع

وانا لتمنى في هذه المناسبة من صميم الفؤاد على ابناء طائفتنا في لبنان والمهجر ان يكون في مدارس الطائفة واديارها الجامعة بل وفي رعايا القرى العامرة اجواق ترتيل تقوم بخدمة الطقوس الكنائسية وتعمل على إعادتها الى رونقها ووحدتها ، مع المحافظة على ما في خدمة القداس من الاناشيد السريانية التي لا يحسن تعريبها ، بل هي جميلة في سريانيتها وتدل على قدم طقسنا ونقاسته . بيد ان من اللازم تهذيب لغة الاناشيد العربية البحتة حيث توجد ركاكة او ضعف مما لم يعد يصح السكوت عنه في عصرنا هذا (١ ونلاحظ على بعض الشمامسة المرتلين في لبناننا سرعتهم في تلاوة بعض الصلوات والمقالات من خدمة القداس بنوع انهم يتلون بضع كلمات من الاول وعبارة من الآخر مما لا يلتحم بعضه مع بعض ولا يحصل له معنى معقول ، فهذا مما يستدعي انتقاد الآخرين وهو اهمال لا يجوز . وفي هذا كفاية لأولي البصائر

ولم تهمل ادارة المدرسة اللغة السريانية العزيزة وهي لغة طقسنا ، وقد كادت تموت ، بل أنشئ في المدرسة فصل يضم عدداً غير قليل من الاحداث الوارنة والسريان يتلقنون اللغة السريانية بطريقة توصلهم الى ان يصيروا قادرين على الاشتراك في الصلوات الفرضية وقراءة الكتب الطقسية . وايم الحق انها لخدمة جلى تقدمها المدرسة الى الطائفة والطقس والوطن بتحبيبها هذه اللغة الى الناشئة ، عملاً باشارة غبطة السيد البطريرك الذي ما برح في كل منشور يذيعه يحث رؤساء المدارس على تعليم السريانية كيف لا ونحن نرى اهتمام الشعوب بكل ما هو وطني ولاسيما المحافظة على اللغة ؛ وها بنو اسرائيل مع تشتتهم تحت كل كوكب وتكلمهم بمختلف اللغات قد نهضوا نهضة واحدة لإحياء لغتهم العبرانية فنشروا فيها الجرائد والمجلات ووضعوا الروايات التمثيلية ، بل تطرف البعض منهم الى ان امسوا لا يتكلمون الا بالعبرانية . لعمري اننا مع كوننا نرأب بلغتنا العربية المحبوبة عن ان يحل محلها غيرها من اللغات ، فاننا نحرص شديد الحرص على لغة طقسنا من ان تندثر ، بل تمنى لو ظلت السريانية لغة

---

١) ان لحضرة رئيس مدرسة القديس يوسف كتاباً عنوانه «غذاء النفوس في الصلوات والطقوس» مهذب فيه لغة خدمة القداس والرياحات دون ان يبتعد عن الاصل المألوف وهو مأمور بتصديق وختم غبطة السيد البطريرك ، فيحسن استعماله منذ الآن

التخاطب بين الاكليريكيين في مدارسهم وبين الرهبان في ديرتهم ، ولكن هل كل ما يتمنّى المرء يدركه ؟ ! غير اننا نخشى ان يجيء يوم لا يعود يجد الكاهن شخصاً يخدم له قدّاسه او يقرأ فصلاً من الرسائل او مقالاً آخر طقسيًّا بسبب اهمال تعليم اللغة السريانيّة . امّا اولئك الكتبيّون الذين نشروا بعض الكتب الطقسيّة بالحرف العربي ابتغاء الكسب فقد ساعدوا على اهمال تعلّم السريانيّة وكان عملهم حجر عثرة في سبيل احياء اللغة ، سامحهم الله ! ! (١ غير انه لا يخفى على ذوي البصيرة انه من اللازب اللازم المحافظة على بقاء اللغة السريانيّة حفظاً لكيان المارونيّة واحياء لطقوسها الكنائسيّة

كنيسة العائلة المقدسة حذاء المدرسة

وفي الجهة الجنوبيّة من المدرسة تقوم كنيسة العائلة المقدسة ، وقد تبرع ببنائها ايضاً ذلك المذكور بالطيبات الكونت صعب واقف دار المدرسة ، طولها ثلثمئة وخمسة وعشرون متراً واتساعها احد عشر متراً ، وكان الفراغ من بنائها في اوائل نيسان سنة ١٩٠٩ فاحتُفل حينئذٍ بتكريسها وافتتاحها رسميًّا احتفالاً فخماً اشتركت به رؤساء الطوائف الكاثوليكيّة برئاسة الطيّب الاثر المطران دريان . والكنيسة مع صغرها جامعة في داخلها بين سلامة الذوق وجمال الفنون . وقد تولى نقش جدرانها بالالوان احد رجال الفن الايطاليين فرسمها برسوم القديسين والملائكة ونقشها نقشاً بسيطاً نظير ما في كنائس ايطالية ، فجاءت آية تبهج مجد الله ! وتقام فيها الحفلات الدينيّة على ما قدّمنا بكل فخامة وجلال . وفي المدرسة عدد غير قليل من الاكليريكيين كهنة وشمامسة فهم يقيمون صلاة الخورس الطقسيّة ما بين جوقين في مساء الاعياد الصارخة وفي آحاد الصوم واسبوع الآلام المقدس قياماً بالواجبات الطقسيّة واطاعةً لارادة غبطة السيد البطريرك الكلي الاحترام

وقد عُلّق حذاء الكنيسة جرس ليس بالصغير ولا بالكبير الخارق الّا انه يُدقّ على طريقة اجراس لبنان (المربعة) اللطيفة ، غير انه لا يمكن ان يكون ألوبةً للشبان المتهوّسين يتحنون بدقّه قواهم البدنية كما هو جارٍ في بعض جهات لبنان ولاسيما في

(١ في مقالة في الكتب الطقسية المارونية سأنشرها في فرصة اخرى

ايام الاعياد ، اذ يُقتصر في الاحتفال بالعيد ، اذا استثنينا اقامة القداس الالهي ، على قرع الجرس ، ولا غير ذلك !!

وانّهُ ليسرّنا في ختام هذا المقال ان نذكر ان ثلاثة من تلامذة مدرسة القديس يوسف المارونيّة قد اعتنقوا الدعوة الاكليريكيّة وواحد منهم هو اليوم يتمم الدروس المؤهلة لدرجة الكهنوت في كليّة القديس يوسف اليسوعيّة في بيروت . تلك هي ثمرة ما يغرسه رئيس المدرسة واساتذتها الافاضل في قلوب الناشئة من بذور الآداب والتعاليم المسيحيّة المؤدية الى الكمال . ويقيناً انه ليس باليسير ان ثلاثة شبان من مدرسة واحدة يهجرون العالم الى الكمال الاكليريكي في مدينة كالقاهرة حيث الغواية ناصبة شركها في كل سبل الشبيبة

هذا وانهُ ليعجبنا ما نراهُ في التلامذة القدماء من شواعر عرفان الجميل نحو اساتذتهم وعاطفة حبهم المكين للمدرسة التي انشأتهم وارضعتهم ألبان العلوم والآداب ، اذ مع كونهم قد انتُوا دروسهم في مدارس اخرى عليا ، وهم اليوم يشغلون مراكز مختلفة ، زاهم ما برحوا يفتخرون بانتمائهم الى مدرسة القديس يوسف المارونية مجاهرين بكونهم من خرّيجيها وقدماء تلامذتها

هذا ما منّ لنا نشره عن هذا المعهد الحديث من معاهد السريان في القطر المصري الذي وان صغيراً بكيانه فانه كبير بنتائجه ، وهو ، كما يتراءى للمتطلّع اللبيب ، تطبيق لمثل « حبة الخردل » الوارد في الانجيل الكريم . ومَن امعن النظر معتبراً ما اوردناه عن حالة هذه المدرسة تحقّق ان هنا اصبع الله

صورة بيورلدي

من احمد باشا الجزّار الى مشايخ الدروز

توطئة

لمّا اسند الباب العالي تدبير ولاية الشام الى احمد باشا الجزّار مع رتبة الوزارة ضغط المذكور على البلاد بما فرضهُ من الضرائب على الاهلين . فكان ذلك داعياً لتشبث بعض الدروز في لبنان لشقّ

عصاة الطاعة واثارة الفتن ومحاربة عساكر الدولة في السنتين ١٢٠٦ و١٢٠٧ه (١٧٩١-١٧٩٢م) فدامت الحرب عدّة اشهر وحدثت وقائع شتى تارة للدروز وتارة للدولة . وقد عثرنا بين مخطوطات مكتبتنا على ثلث نسخ من بيورلدي (ومعناهُ باتركية الامر او القرار) وجّههُ احمد باشا الشهير بالجزّار الى زعماء الدروز بعد رجوعهِ من مرافقة الحجاج سنة ١٢٠٧ يدعوهم الى الطاعة وينذرهم بالعقاب ان خالفوا امرهُ وامرَ الامير بشير الشهابي المتولّي على لبنان فاحببنا ان ننشرهُ لما فيهِ من الشبه بالاحوال الحاضرة . وهذا الاثر كان موجودًا في تاريخ الامير حيدر الشهابي المعروف بالغرر الحسان في اخبار الزمان الّا ان متولي طبعتهِ المصريّة ضرب عنهُ الصفح وهذه صورتهُ ل . ش

صدر المرسوم المطاع ، الواجب القَبول والاتّباع ، الى امراء ومشايخ ومشايخ عَقْل وعمّال ورعايا وسائر سكّان الشوف والمتن وكسروان بوجه العموم يحيطون علمًا

نعرّفكم انّهُ لما عزمنا على المسير لطريق الحاج الشريف وزيارة نبيّنا السيّد البشير النذير ، عليهِ افضل الصلاة والتسليم من العليّ القدير ، قد كشف الله لنا عن ما هو لا بُدّ ان يتوقّع ويصير ، فانذرناكم وحذّرناكم غاية التحذير ، وذلك قبل تحرُّك رَكْبنا السعيد من صحراء المزيريب (١ ، عرّفناكم عن هذه الافعال السيّئة الرديئة ، والطُّرقات المعوّجة الغير المُرْضية ، فلا بُدّ عن مسيركم بها وسلوككم في شوارعها ، فاخسئتم المشتري وهاروت (٢ عقيدةً ودين ، وأبعدتم عن قول الحق المبين ،

يا ايّها الذين آمنوا أطيعوا الله والرسول وأولياء اصحاب الامور . فتزحزحتم بغرور انفسكم عن ذلك و فنيتم آثار مَن تقدّمكم من الظالمين . ونسيتم ما حلّ بهم من العذاب الاليم ، وأشهرتم الجور والاعتساف ، وتركتم الصواب والانتصاف ، وسعَيتم في الارض بالفساد ولهُ جزاء الذين يسعَوْن بالفساد الّا ان يُقتّلوا ويُصلّبوا او تُقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ، فكان أيدًا لنحسكم بجنسكم . وروى الله انّ الذين كفروا لم ينالوا خيرًا . فتراكمت عليكم النحوسات فما ازددتم الّا شرًّا .

١) المزيريب قرية من نواحي حوران على طريق الحاج وتقطنها سكّة حديد الحجاز بعد درعا ٢) المشتري وهاروت صنمان من افراد الجنّ على زعم البعض

وكنّا نظنّ في حلول ركابنا السعيد من طريق الحاج الشريف ان يتغيّر الحديث الذي بانفسكم «ان الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بانفسهم (١)» (سورة الرعد ع١٢) فبقيتم ما انتم عليه من الطغيان، ومزيد البهتان، وفي غيابنا طلب منكم افتخارُ الامراء الكرام الاميرُ بشير شهاب الخدامة حُكم قولكم فاذا انتم بمزلٍ عنها وصدقَ عليكم «يا ايها الناس انّما بَغيكم على انفسكم» (سورة يونس ع٢٤) وكان يلزمكم اطاعة خليفة رسول الله مالك ذمّة الخليقة شمس فلك الدولة العثمانيّة والسلطنة الخاقانيّة ملك البحرَين والبرّين اسكندر ذي القرنين (٢). فاظهرتم التباعد والتنافر وزعمتم في عقولكم انّني بهذه المسافة لستُ براجع. فكلُّ مُنجم كذّاب. فاعلموا واعرفوا وتحقّقوا ان سلكتم في قدَم الطاعة وكنتم مطيعين وخاضعين لولدنا الامير المشار اليه فعليكم من طرفنا امانُ الله وامان رسوله ثمّ امانتنا ولن تشاهدوا منّا الّا المسرّة. وان بقيتم وثبتُّم على حالكم وسوء اعمالكم فبعناية الملك القاهر، انني بكم لظافر، ولأدمّرنّكم بكل دامر، سلّموا تسلموا، وان عاندتم تندموا ولا تدخلوا في حيّز قوله تعالى «مَنْ نكث فانّما ينكث على نفسه» (سورة الفتح ع١٠). واياكم والمكر ومخالفة الصواب وايقاع انفسكم في هلكات الحساب، واعتبروا قول ربّ الارباب «فوقاهُ الله سيّئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب» (سورة المؤمن ع ٤٨). والباغي يرجع بَغيُهُ في نحره. فانهضوا في الطاعة والتسليم، تحظوا ان شاء الله بالمرام والتكريم، غيّروا من انفسكم هذا الوسواس اللئيم، توكّلوا على الله وأفوّض امري الى الله، واذا تزحزحتم عن الطاعة تنشر اعلامَ الحرب نحوكم ونوجّه عساكرنا الزاخرة كالبحور سائين بَوارعهم بايديهم وسُمرَ القنا ساحبين والدماة سافكين فمن قُتل منهم الى جنة رضوان خالدين ومَن قُتل منكم في سعير جهنم متقلّبين، فانظروا لنفوسكم اخلاص فاذا كنتم من اهل السنة والجماعة، فادخلوا في حيّز الاطاعة، وان ابيتم تروا اوخم الاحوال والتنكيد والله حسب ونعم الوكيل

---

١) وبالاصل: ما بانفسهم

٢) هذه نعوت والقاب يمنحها الكتب للسلطان وكان المالك وقتئذ السلطان سليم الثالث

قصة صالح ابن عبد القدوس مع راهب الصين

نشرها حضرة القس اسحق ارملة السرياني الكاثوليكي (تتمة)

ثم ان الراهب ارخى عينيه وبكى بكاء مرًّا شديدًا فقلتُ: يا راهب ما الذي يبكيك ؟ قال: أبكي على شيء ذكرتُهُ (ص ١٢) وحقّ عرفتُهُ ، قلتُ: ما هو امرك ؟ قال: قد ضيّعتُ يوماً لم أحسن فيه عملي. وذكرتُ قلّة الزاد وبُعدَ الطريق وعقبةً كؤودًا خطاها نزولًا وصعودًا. وما أدري أإلى جنةٍ ام الى نار وعذاب شديد. قلتُ: يا راهب كيف استحليت الغربة ؟ . قال: يا اخي ليس الغريب الذي مشى من بلد الى بلد . ولكنّ الغريب مؤمنٌ بين فسّاق وعالمٌ بين جهّال لا يعرفون حقّه ولا يستفيدون منهُ. قلتُ: يا راهب لِمَ لا تنزل من هذه صومعتك وتخالطنا وتعاشرنا. فعندنا رهبان يعاشروننا ويخالطوننا ونخالطهم(١ . قال الراهب : هيهات هيهات يا فتى كم متعبّد بلسانهِ متعثر لربّهِ يقاد غدًا الى نار الجحيم . . . واعلم يا فتى ان الدنيا مَرْدَةٌ سكّابة للموت . كلّما تزوّجت الدنيا بزوجٍ طلّقَهُ الموت وهي من الموت طالقة . فمثلُها مثل الحيّة لأنها لينة عند ملمسها والسمّ في انيابها قتّال. فحين يراها رجال دون العقول تهوى اليها عقولهم فلذلك زفّتْ فيهم من سمّها. وخلطت لهم مرارة عيشها بعد صفائها . . . ثمّ قلتُ لهُ : بِمَ يُستعان على الدنيا في الزهد ؟. قال: بكثرة ذكر الموت وتقصير الآمال مع دوام العمل. قلت: يا راهب متى ترحل الدنيا عن القلوب وتسكن الحكمة في الصدور؟. فصاح الراهب صيحةً عظيمة وغشي عليه ساعةً واحدة حتى افاق. فقال: كيف قلتَ (ص ١٣) يا فتى أعدْ عليّ القول. قال: لا والله ما ترحل الدنيا عن قلبك وتسكن الحكمة في صدرك وانت مشغول في مكسب الدراهم الحرام والدنانير. وتستعين في مكسب الحلال وانت مع ذلك تحبُّ النظر الى هؤلاء — واشار بيده الى الخلائق . . .

قلت: يا راهب أريد اتوب واكون معك(٢ . فاجاب الراهب وقال : ما الذي

---

١) لعلّ في قوله هذا دليلًا على نصرانيّته

٢) هذا دليل ثانٍ على تنصّر صالح بن عبد القدّوس ورغبته في الزهد

اصنع بك معي. الآن مُعطي الارزاق يسوق رزقي اليّ في كل وقت ولا يكلفني الى احد. فمن يقدر على ذلك غيره؟ واعلم يا اخي ان العبد اذا زهد في الدنيا تعلق قلبه في ملكوت السماء. ونظر الى الدنيا بعين حقيرة. قلت: يا راهب متى يبلغ العبد درجة الكاملين؟ قال: يا فتى عن امر عظيم قد سألتَ وخيرٍ جسيم فحصتَ. اول درجة يصعد فيها اهل الصلاح ان يكفُّوا النظر من اتعاب الشهوات والصبر عند البلاء، (ص١٥) والشكر عند الرخاء، والحمد عند القضاء، وليس بعدها درجة

قلت: يا راهب؟ (ص١٤) مِمَّ كثرةُ ذنوبنا وخطايانا وقسوة قلوبنا؟ قال: الله الحاكم فيكم. وسترُهُ المنسدل عليكم. وآماله لكم فتركتم الآخرة وقبلتم الحاضرة، وحالفتم بالأيمان الكاذبة. وحكمتم الاحكام الجائرة، فصُبَّ عليكم دينكم وضعف يقينكم. وقست قلوبكم، وكثرت ذنوبكم، وظهرت عيوبكم، ولم تفرغوا عن كُرُوبكم فأبعدتم آمالكم، واخفيتم اعمالكم، وكثر في الشر كُدودكم حتى فنيت آجالكم، واخذتم لدينكم الهوان والعيوب. وتركتم طلب العلوم، وظهر فيكم الظلوم، وتجرأتم على الآثام واخفتم اللائمة. واظهرتم الخيانة. وتعاملتم بالغدر، ونشأ فيكم المكر، وسارعتم في الشر، وزهدتم في اكتساب الخير، واخذتم نعمة الله بآلة الشكر، وطبع على قلوبكم الفخر، وقصرتم في العمل، وركبتم الزلل، حتى فني منكم الأجل، ومزجتم ألسنتكم في العسل، وقلوبكم ممتلئة بالدغل، وكسبتم الآثام، وسعيتم بالنمام... وقلّلتم الحسنات، وعصيتم ربّ السموات، فلا ناهياً يزجر، ولا واعظاً بأمر، ولا خافياً حاضر. ولا ناصحاً ظاهر، وقلّ علمكم وكثر (ص١٦) جهلكم، وخفّ حلمكم، وظهر فسقكم، وكثر غشكم، وتعزز جوركم، وطال سهوكم... واعتمتم في مكتسب الذنوب، وستر بعضكم على بعض العيوب، ولم تخافوا من العالِم بالغيوب، واستحليتم الحرام، وتنطعتم بالآثام، وركبتم الذنوب والعصيان، وقطعتم صلاة الرحمان، وكثُرت فيكم الخيانة. واخترتم الهوى. وحشوتم قلوبكم بالدغل. فكلامكم حلو وفعلكم مرّ. والسنتكم يابسة، وقلوبكم عابسة، تتحابون باللسان وتتباغضون بالقلوب... ونسيتم الاعراض على رب العالمين والوقوف بين يديه. وتبعتم الشهوات. وتركتم الحسنات. وختم الشهادات، وذهبتم في الخطايا. وجمعتم الاموال من الحرام. فصغاركم جهال. وكباركم

فجار . وهتكتم الحرم . وسعيتم بالاثم . ورغبتم في المظالم . واصبحتم من الخيرات زاهدين . وسعيتم في العباد ، وأكثرتم في الارض (ص ١٧) الفساد ، وعصيتم الجبار ، وأطعتم الاشرار ، وجلستم مجالس الفجار ، وتجنبتم مصاحبة الابرار ، ولبستم الاوزار ، وعملتم اعمال اهل النار ، فان استغنيتم بطرتم ، وان افتقرتم كفرتم ، وان حلفتم كذبتم ، وان ائتمنكم خنتم

قلت : يا راهب صف لي اخلاق اهل الدنيا قال : ستر بعضكم على بعض فاصلحتم بينكم . ولو أنبتم بالتوبة الى ربكم في هذه الدنيا . لكان انتقلتم عن العاصي الى طاعة الله ربكم . وهو حليم لا يعجل على من عصاه . لكنكم كاذبتم الروساء . واستحلفتم الربا . فضللتم عن الهدى . وسفكتم الدماء . واخترتم الزنا . واطعتم النساء . فذهب عن وجوهكم الحيا . واشتغلتم عن الآخرة في هذه الدنيا . فخنتم في الكيل والميزان . وتعاونتم على الاثام والايتام . وجالستم السلاطين . وتفاضلتم على ظلم المساكين . ولم تخافوا العذاب ، ولم تخشوا العقاب ، ولم تفكروا في الحساب ، لا الى المظالم تنظرون . ولا من عالم تسمعون . ولا عن المكروب تفرجون . ولا في الخير ترغبون . ولا العاصي تجتنبون . ولا من الخطيئة تنتقلون . ولا الى الله تتوبون . وبطلتم الصلاة . ومنعتم الزكاة . وبطر غنيكم فقيركم . وبخلتم بما اعطاكم الله من نعمائه . وانتزعتم البركة من ارباح . وتجنيتم على الفقراء . وعصيتم رب السموات ولم تشكروه على نعمائه . وهو رقيب لا يغفل عنكم ويؤخركم الى يوم تقفون بين يديه . ويفعل بكم ما يشاء ويحكم فيكم ما يريد . والله ما يريد ظلم عباده . يسألكم عن اعمالكم ويجازيكم بما فعلتم . ويجازي الاخيار بايصالهم الى النعيم المقيم . والاشرار بتخليدهم في الجحيم والعذاب الاليم ، فيا اموات ويا بني الاموات توبوا قبل ان تتفرق الجماعات ، تلحقوا باهل البركات ، فالذين بنوا المدن والحصون اين هم . اشتغلوا في هذه الدنيا عن الآخرة . ففنيت (ص ١٩) اعمارهم وانقطع رجاؤهم . ونزل بهم الموت وبدد شملهم . فخلوا الدور والقصور ، وسكنوا في ضيقة القبور ، واستقرت عليهم الجنادل والصخور ، وبقوا مرتهنين في قبورهم الى يوم الحكم والدين .

ثم ان الراهب رجع في كلامه على نفسه . واقبل يبكي ويقول لها : تكرهين لقاء ربك الكريم عند ساعة الرحة . يا نفس يا نفس ما ارى لي في مثالحتك راحة . والى

ابن من الموت تهربين. والى ابن من الحساب تفرّين. (ثم قال) اللهم انتَ الذي سترت عيبي. واظهرتَ محاسني. فاسألك ان تحشرني مع المتقين. فانك اجود الجوّاد وارحم الراحمين. واكرم الاكرمين. وانت ربّ العالمين. (ثم قال) سبحانك انت الذي شاهدتهم. وانت المطّلع على أسرارهم...

ثم ان الراهب أخفى نفسه ولم أرَه بعد ذلك فصحتُ: يا راهب بالله عليك أرشدني (ص ٢٠). قال: أبلغ النظر الى محلّة الاموات. واجعد الحالات في الاوقات. فقلت: يا راهب اعضدني بمن عليه اعتمد. قال عظّم ربّك وكرّر ذكره؟. وكن ممن يراك حيث نهاك. ولا تكتسب الحرام وتنفقه في الحلال. فانّ تركه قربان لله. واقنع بالقليل. لأن ما قلّ كفى ونفع. وهو خيرٌ مما كثر فأردى. يا فتى واذا أمنتك احد بشيء فردّ الامانة الى اهلها. ولا تظلم. فان الله ما يظلم احداً. وينتقم للمظلوم من الظالم. يا فتى احذر دعوة المظلوم. فانها لا تُحجب عن الله. واعلم ان الدنيا ولذاتها هي بمنزله مال رأيته في منامك. فلما استيقظت لم ترَ منه شيئاً. يا فتى لا تحسد من هو راغب في الدنيا. ولا تنازعه عليه. فكم ممن طلب الدنيا ولم يدركها. ومن ادركها ما شبع منها. يا فتى استحي (ص ٢١) ممن هو اليك اقرب من حبل الوريد. واذكر الموت وافتكر في عقابه. وفي انقضاء اجلك. قبل ان يبعد منك املك. وانظر الى ضعف خلقك. لانك من نطفة قذرة. وسيرك الى تربة حقرة. يا فتى وَضِّع نفسك وعظّم عقلك. واحزن على ما فات منك. ولا تمت في غير طاعة ربّك. يا فتى أكثر البكاء على ما قدّمتَ من ذنبك. واعلم ان الندامة تأتيك حيث يأتيك الموت. فلا أنت الى اهلك عائد، ولا في عملك بزائد، واعرف ما فيك من رحمة الله ربّك. يا فتى اذا رأيت جنازة محمولة. فاعلم انك بعدها محمولٌ. واعلم ان كل من خاف من الله خاف منهُ كلُّ شيء. يا فتى اشتغل بعيوبك عن عيوب غيرك. ولا تعيّر احداً بما هو فيه. فيبتليك الله به. واياك والعُجب فان الاعمال الصالحة ما تُقبَل اذا مازجها العجب. واياك والبغي فانه وخيم المصرع. يُذهب الحسنات ويكثر السيئات. واياك (ص ٢٢) اللجاجة تكتسب الحيرة. يا فتى اصبر ولا تعجل فتندم. ولا تحسد فتكدّر عيشك. ولا تطلب طول العمر. فيوصلك الى الخرَف. ولا تشمت فيُشمتَ بك. وفكّر في الاخرة لتأمن الندامة وتجتنب الضحك فانه يورث البكاء. ولا تستخفّ بالمتقين فتبعد من الصالحين. ولا

تمسك المتعظمين . ولا تلاجج الاشرار . فان بُليتَ بهم فاغلبهم بالخير . ولا تجازهم بالشرّ . لان الغالبَ الشرَّ بالشرّ مغلوب . يا فتى الهرَب الهرب ممن يمدح الحسنات ولم يفعلها ويذمّ السيئات ولم يتركها . يا فتى وعليك بالتواضع والصدق يكسبانك رضا الله والمحبة بين الناس . واصلح في العالم نيّتك فتنال الراحة في آخرتك . واصفح يُصفَح عنك . وارحم فتُرحَم . واغفر فتُغفَر . واترك الشرّ وافعل الخير . لانك كما تكيل يكال لك ويتوفّر (ص٢٣) . يا فتى أكرِم نفسك ولا تشرب المسكر لان اوّله غرام ، وآخره هتيكة وندامة ، ولا تجالس من يحثّك الخطايا ويركّبك اياها . فانه ما يكتسبك غير العداوة ويرميك في هوّة المرت . يا فتى أقصر في الكلام فتأمن السلامة في السكوت . ولتكن ممن يُرجى خيره ويؤمن شرّه . واعلم ان كل من احبّه الله ابتلاه ، ومن سخط عليه تركه وخلّاه ، يا فتى واذا تكون في شدّة او في مرض لا تكثر الشكاية فيعظُم ذنبك عند ربّك . غير انك تكون اذا اعتللت بامر تكثر الشكر لله . يا فتى اياك والنّمامة فانها تزرع الطغيان . وعن بني المجيب . ولا تستحسن لنفسك ما لا تستحسنه لغيرك . وارضَ للناس بما ترتضيه لنفسك . فان الذي يلزم لنفسه هذه الاشياء يكون قد كمّل القضايا وهي صلاح في الدنيا والدين . والحمد لله ربّ العالمين

ثم ان الراهب نهض من ساعته الى مخدعه (ص٢٤) فناديته : يا راهب أدعُ لنا في صلواتك . فمن تلك الساعة سمعت صوته وهو يتخشّع في صلاته قائلًا : ادعوك يا ربّ برحمة حبيبك يسوع المسيح سيّدنا ومخلّصنا الذي به اهتدينا ، وبفضله استغنينا ، وبنعمته ارشدنا وبدعوته وفقنا ، والايمان به قرّبنا . وأجبر ضعفنا ، ولا تلجئنا الى حيلنا وقوّتنا . وأقِل عثراتنا ، واستجب دعواتنا ، ومع جملة الذين أرضوك باعمالهم الصالحة احشرنا ومن عذاب النار وظلمة الجحيم نجّنا . ومن رحمتك الغزيرة لا تخيّبنا . وأنقِنا من الذنوب والخطايا اجعلنا . وعلى ما سلف منّا في غير طاعتك لا تحاسبنا . وعندما يأتي السيّد المسيح مخلّصنا . يجلس على كرسي عرشه . كما قد أخبر عنه رسلنا وانبأونا . وساعة الموقف بين يديه لا تخجلنا ولا تفضحنا . ومن جانب يمينه أقِمنا . ومع العازر المسكين واللصّ اليمين اجعل نصيبنا ومأوانا لانك سميع مجيب بملائكتك المقرّبين آمين . ورحمة الله على القارئ والكاتب والسامعين آمين .

كملت قصّة راهب الصين

شعراء النصرانية بعد الاسلام

شعراء النصرانية في عهد الدولة العباسية (تابع)

للاب لويس شيخو اليسوعي

٢٩ امين الدولة هبة الله ابن التلميذ (تتمة)

ولابن التلميذ اقوال حسنة في الفكاهات واللطائف منها وصفهُ لزجاجتَيهِ (من مجزوء الكامل) :

بزجاجتَين قطعْتُ عمري وعليهما عوّلتُ دهري
بزُجاجةٍ مُلئت بحبرٍ وزُجاجةٍ مُلئت بخمرِ
فبذا أثبتُ حِكمتي وبذا أزيل هُمومَ صدري

ومن قولهُ في شرب الخمرة (من الرجز) :

كأسٌ يُطفي لَهَبَ الأوامِ بانٍ يُعين هاضمَ الطعامِ
والسرورِ ثالثُ المُدامِ والعقلُ يُنفيهِ مَزيدُ جامِ

ومن لطائفهِ ما قالهُ ليُكتب على حصير (من الكامل) :

أفرَشْتُ خدّي للضيوفِ ولم يزَلْ خُلقي التواضُعَ للَّبيبِ الأكيَسِ
فتواضُعي أعلى مكاني بينهم طوراً فصرتُ أحلُّ صدر المَجلِسِ

وقال في مَسند الرأس (من الخفيف) :

ربَّ وَصلٍ شَهِدتُهُ فتمتَّعْـتُ عِناقاً بالعاشقَينِ جَميعا

وَجدَاني للوِدِّ اهلًا وللسِّـرِّ مكاناً وللصديق مُطيعا

ولهُ في مِجْمَرة البَخُور (من المتقارب):

اذا الهَجْرُ أَضْرَمَ نارَ الهوى فقلبيَ يُضْرَمُ للهجر نارا
أبوحُ بأسراريَ المُضْمَرا تِ تبدو سِرارًا وتبدو جَهارا
اذا ما طوى خبَري صاحبٌ أبى طيبُ عَرْفيَ الّا انتشارا

وقال فيها بمعناه (من الخفيف):

كلُّ نارٍ للشَّوقِ تُضْرَمُ بالهَجْـرِ وناري تَشُبُّ عند الوصالِ
فاذا الصَّدُّ راعَني سكَنَ الوَجْـدُ ولم يَخطُرِ الغَرامُ ببالي

ومثلهُ في المجمرة ايضاً (من مجزوء الكامل):

يشكو المُحِبُّون الجَوى عند التفرُّق والزِّيالِ
وأَشدُّ ما أُصلى بِنا رِ الشوقِ اوقاتَ الوِصالِ

وقال ايضاً يصفها (من المنسرح):

رُبَّ حِمًى لا تُرَامُ عِزَّتُهُ أَبَحْتُهُ النَّفسَ غيرَ محجوبِ
يُبدي عِياني لِمَنْ تأَمَّلني نارَ مُحِبٍّ وَنَشْرَ محبوبِ

ومن لطائفهِ يصف مَفْصل الشَّرْب (من الطويل):

اذا ما خطبتَ الودَّ بين معاشرٍ فكُنْ لهمُ مثلي تُعَدُّ اخا صِدْقِ
اذا استأثروا من كلِّ كأسٍ بصَفْوِها رضيتُ بما أبقَوْهُ من مَشْرَبٍ رَنْقِ

ومما اخبرهُ ابن ابي اصيبعة (١ : ٢٧٤) ان ابن التلميذ عالج في مرضهِ الرئيس ابا القاسم عليّ بن اللحّ الكاتب. فلمّا نَقِهَ من مرضهِ وكان ابن التلميذ فرض عليهِ

الحنية فكتب له ابو القاسم يطلب منهُ ان يأذن له باكل الخبز:

أنا جَوْعانُ فأنقِذْ نِيَ من هذي المجاعَهْ
فَرَجي في كَسْرةِ الخبـــز ولو كانت قُطاعَهْ (١
لا تَقُلْ لي ساعةً تَصْـــبرُ ما لي صَبْرُ ساعَهْ
فخَوايَ اليوم ما يَقْـــبَل في الخُبز شَفاعَهْ

فاجابهُ ابن التلميذ (من الرمل):

هكذا اضيافُ مِثلي يتشكَّوْنَ المجـاعَهْ
غيرَ أني ليس عندي لِمُضِرٍّ من شَفاعَهْ
فتعلَّـلْ بسَويقٍ فهو خيرٌ من قُطاعَهْ
بحياتي قُلْ: كما تَرْ سُمُهُ سَمْعاً وطاعَهْ

ومما رواهُ ابن ظافر الازديّ في كتابهِ بدائع البدائه (ص ٥٤) قال: اخبرني القاضي السعيد ابو قاسم هبة الله بن سناء الملك رحمهُ الله قال: اخبرني الجليل الوافد من العراق على الدولة المصريّة قال: اجتمعتُ في بعض الأيام بامين الدولة ابي الحسن هبة الله بن صاعد بن التلميذ فاخذتُ في ذمّ الدهر وإخنائهِ على اهل الفضل واذا بكلاب صَيْد التي يرسم اختيفة قد أُبرزت في جلال الوشي والديباج فحرّك ذلك ما كنا نتجاذب أهدابهُ في ذمّ الدهر فقلتُ (من الرجز):

من كان يُلبسُ كلبَهُ وشيًا ويقنَعُ لي بجلدي (٢

فاستجزتُهُ فقال واجاد:

الكلبُ خيرٌ عندهُ مني (٣ وخيرٌ منهُ عندي

---

١) قال القُطاعة هو الحَشْنُ من الدقيق يُقطع من النُخالة ويُخبز فيُسمى خبز قطامه
٢) ويُروى: من كان يكسو الكلبَ وشيًا ثم يقنعُ . . .
٣) ويروى: فالكلبُ مني عندهُ خبزٌ

ولابن التلميذ ﴿ هجو ﴾ قليل فمن ذلك ما هجا بهِ الطبيب اوحدَ الزمان ابا البركات اليهودي ثمّ المسلم وكان تعيَّن معهُ في خدمة الخليفة المستضيء بالله. قال ابن ابي اصيبعة (١ : ٢٦٠):

« ان اوحد الزمان كان قد كتب رقعةً يذكر فيها عن ابن التلميذ اشياء يعدُّ جدًّا ان تصدُرَ من مثلهِ ووهب لبعض الخدم شيئًا واستسرَّهُ ان يرميها في بعض طُرُق الخليفة من حيث لا يعلم بذلك احد (وهذا مما يدلُّ على شرّ عظيم) وانَّ الخليفة لمَّا وجد تلك الرقعة صَعُب عليهِ جدًّا في اوَّل امرهِ وهمَّ ان يوقع بامين الدولة. ثمَّ انهُ بعد ذلك رجع الى رأيهِ واشير عليهِ ان يبحث ويتأمل عن ذلك وان يستتر من الخدم من يُتهمهُ بهذا المعنى. وما زال ذلك انكشف لهُ انَّ اوحد الزمان كتبها للوقيعة بابن التلميذ فحَنِقَ عليهِ حنقًا عظيمًا ووهَبَ دمهُ وجميع مالهِ وكتبهِ لامين الدولة ابن التلميذ. ثمَّ انَّ امين الدولة كان عندهُ من كرم الطباع وكثرة الخيريَّة انهُ لم يتعرَّض لهُ بشيء وبُعِدَ اوحدُ الزمان بذلك عن الخليفة واغتمَّ متركهُ. ومن مطبوع ما لامين الدولة فيهِ قولهُ (من المنسرح):

لنا صديقٌ يهوديٌّ حماقتهُ ... اذا تكلَّمَ تبدو فيهِ من فيهِ
يَتيهُ والكلبُ اعلى منهُ منزلةً ... كأنَّهُ بعدُ لم يَخرُج من التيهِ

وقال ابن التلميذ في والدهِ وكان في سائر احوالهِ بعيدًا عما كان عليهِ والدهُ (من المنسرح):

اشكو الى الله صاحباً شَكِساً ... تُسعِفُهُ النفسُ وهو يَعنِفُها
فنحنُ كالشمسِ والهلالِ معاً ... تُكسِبُهُ النورَ وهو يَكسِفُها

وفيهِ قال يؤنّبهُ (من الكامل):

والوقتُ أنفَسُ ما عُنيتَ بحفظهِ ... واراهُ أسهَلَ ما عليكَ يَضيع

وقال يهجو صديقًا اسمهُ سعيد خانهُ (من السريع):

حُبّي سعيدًا جوهرٌ ثابتٌ ... وحُبُّهُ لي عَرَضٌ زائلُ
بهِ جهاتي الستُّ مشغوفةٌ ... وهو الى غيري بها مائلُ

وروى لهُ محمَّد بن خُضر الحلبيّ يهجو الوزير الدركزيني (من مجزوء الكامل):

قالوا: فلانٌ قد وَزَرْ فقلتُ: كلّا لا وَزَرْ
والله لو حُكِّمْتُ فيهِ م جعلتهُ يرعى البقَرْ

وقال فيهِ (من مجزوء الكامل):

قالَ الأنامُ وقد رأو ه مع الحداثةِ قد تصدَّرْ:
مَنْ ذا المجاوزُ قدرَهُ قلتُ: المُقدَّمُ للمؤخَّرْ

ومثلهُ في رجلٍ قليل الوفاء (من مجزوء الكامل):

قد قلتُ للشيخ الجليـ ـلِ الأريحيّ ابي الظَّفَرْ:
ذُكِرَ فُلانَ الدين بي قال: المؤنَّثُ لا يُذكَّرْ

وقال يهجو آخر المسمّى حيدرًا (من الكامل):

مذ صار حيدرُ بَيْدَقَ الصَّدْرِ ومُشيرَهُ في النَّهي والأمرِ
والمستنابُ على نيابتهِ ايقنتُ انَّ العَجْزَ في الصَّدْرِ

وقال يهجو انسانًا بالعين (من المنسرح):

مدوَّرُ الكعبِ فأتخذهُ لتلِّ غرسٍ وثلِّ عرشِ
لو رمقتْ عينهُ الثريّا أخرجها في بناتِ نعشِ

ولهُ ايضًا في شقيّ يخاف الهجو (من السريع):

يا خائف الهجو على نفسهِ كنْ في أمانِ الله من مسّهِ
انت بهذا العرضِ بين الورى مثل (القذى) يمنعُ من نفسهِ

ومن اقوال امين الدولة ﴿في الشوق﴾ ما رواهُ الصفدي في شرح لاميّة العجم (١: ١٤٧) (من المنسرح):

عاتبتُ اذ لم يَزُرْ خيالك والـنَّوْمُ بشَوْقي اليـهِ مسلوبُ
فزارني مُنْعِماً وعـاتَبني كما يقالُ المنامُ مقلوبُ

وقال بمعناه (من البسيط):

يا دارُ لا تُنكري مني التفاتَ فتًى فِراقُ احبابهِ أجرى مَدامعَهُ
عهدتُ فيكِ قُمَيرًا كان يؤنِسُني حيناً فعَيْناي تَستقري مطالعهُ

وله يتشوّق الى اصحابهِ في بغداد (من الطويل):

على ساكني بغدادَ مني تحيّةٌ تُحَمِّلها ريحُ الشمالِ اليهمِ
تخبّرهم انّي صَحبتُ معاشرًا سواهم فأبكاني الزمانُ عليهمِ

ومثلهُ (من الطويل):

خليلٌ نَأى عني فبُدِّلتُ بعدَهُ مُقيمَ الجوى من صفوِ عيشٍ وطيبهِ
اغار عليهِ صَرْفُ دهرٍ فنالَهُ وعمّا قليلٍ سوفَ يُلحِقُني بهِ

وله في الشوق ايضاً (من المنسرح):

لا تَعجبوا من حَنينِ قلبي إليهمُ واعذروا غرامي
فالقوسُ مع كونها جمادًا تَئنُّ من فُرقةِ السِّهامِ

وكذلك قال يتشوّق (من السريع):

كيفَ ألِفُ العيشَ في بَلدةٍ سُكّانُ قلبي غيرُ سُكّانها
لو انّها الجنّةُ قد أزلفَتْ لم أرضَها إلّا برِضوانها

وكان جمال الدين ابو القاسم بن افلح كتب يُعرب عن شوقه لابن التلميذ

اني وحقّكَ منذ ارتحلتَ فخاري حنينٌ وليلي أنينُ
وما كنتُ اعرفُ قبلُ امرأً بجسمٍ يقيمُ وقلبٍ يَبينُ
يقولُ الملامُ اذا ما رأى ولومي بذكراك لا يستكينُ :
تَسلَّ . فقلتُ : دهاك الفراقُ أتدري تَجرى البَيْنِ ابن يكونُ
وكيفَ السبيلُ الى سُلوتي وحُزني وفيٌّ وصبري خؤونُ

فكتب امين الدولة في جوابه (من المتقارب) :

وانّي وحُبّك مُذ بِنْتُ عنك م قلبي حزينٌ ودَمعي هَتونُ
وأخلَفَ ظَنّيَ صبرٌ مُعينٌ وشاهِدُ شَكْوَايَ دمعٌ مَعينُ
فللّه أيّامنا الخاليا تِ لو ردَّ سالفَ دهرٍ حنينُ
وانّي لَأرعى عهودَ الصَّفاء وَيكلأُها لك ودٌّ تصُونُ
وأحفَظُ ودّك عن قادحٍ وودُّ الاكارمِ عِلقٌ ثمينُ
ولِمْ لا يكونُ ونحن اليَدا نِ انتَ بفضلك منها اليمينُ
اذا قلتُ : أسلوك . قال الغرا مُ : هيهاتِ ذلك ما لا يكونُ
وهل ليَ في سَلوةٍ مَطمَعٌ وصبري خؤونٌ وودّي امينُ

ونظم ايضاً ابن التلميذ في الغزل اللين بحسن الذوق كقوله (من المتقارب) :

لِسَيْفِ جُفونك فضلٌ على مَواضي السيوفِ التي في الجفونِ
فتلك مع القَتل لا تستطيـ ـعُ رَجْعَ النفوسِ بدَفع المَنُونِ
وعيناك يقتلني شَزْرُهـا وأحيا بإيماضها في سكونِ

وقوله بمعناهُ (من الكامل) :

تَمّتْ محاسِنُهُ سوى كَلَفٍ حُلوِ المَواقع زانَهُ بِشْرُ

وَسَموا بهِ لألاءَ غُرَّتِهِ عَمْدًا لِيُعْلَمَ انهُ بَدْرُ

وله في وصف الخال (من البسيط):

لا تَحسِبَنَّ سوادَ الخالِ عن خَلَلٍ من الطبيعةِ او إحداثُهُ غَلَطُ
وانَّما قلمُ التصويرِ حين جَرَى بنُونِ حاجبِهِ في خَدِّهِ نَقَطا

ومن غزَلِهِ (من الكامل):

يا مَنْ لَبِسْتُ عليهِ أثوابَ الضَّنا صُفْرًا مُشَهَّرَةً بحُمْرِ الأدْمُعِ
أدْرِكْ بقيَّةَ مُهْجَةٍ لو لم تَذُبْ شوقًا إليكَ تَفَيْتُهـا من أضلُعي

ومنهُ (من الخفيف):

انتَ شُغْلي في كلِّ حالٍ فنومي بخَيالٍ ويَقْظَتي بأذْكارِ
طالَ ليلي بطول هَجْرِكَ لا دا م وشوقي الى الليالي القِصارِ

وقال ايضاً (من الخفيف):

لا تَظُنَّنْ تخلُّفي لِمَلالٍ انتَ من خوف سَلْوَتي في أمانِ
رُبَّ هجرٍ يكونُ أدْعى الى الوَصْـلِ ووصلٍ أدعى الى الهِجرانِ

وهذه حِكَم ابن التلميذ وكلها لطيفة معنية قال يصف اواخر حياة الشيخ (من المتقارب):

اذا وَجَدَ الشيخُ في نفسهِ نشاطاً فذلك موتٌ خفي
ألستَ ترى انَّ ضوءَ السِّراجِ لهُ هَبَّ قبلَ ان ينطفي

وقال في العلم واسبابهِ (من المتقارب):

سُقِ النَّفْسَ بالعِلْمِ نحو الكمالِ تُوافِ السعادةَ من بابها

ولا تَرْجُ مـا لم تَسبَبْ لـهُ فانَّ الامورَ بأسبـابِهـا

وقال في انحجاب الحقيقة عن النفس (من البسيط):

لولا حِجَابٌ امامَ النفسِ يَمنعُهـا عن الحقيقـةِ فيما كان في الأزَلِ
لَأدركَتْ كلَّ شيءٍ عزَّ مطلبُـهُ حتى الحقيقةَ في المعلولِ والعِلَـلِ

وقال في تأثير العلم في العاقل وفي الجاهل (من الكامل):

العِلْمُ للرَّجُلِ اللَّبيبِ زيادةٌ ونقيصةٌ للأحمقِ الطيَّـاشِ
مثلُ النهـارِ يزيد ابصارَ الورى نورًا ويُغْشِي أعينَ الخُفَّاشِ

وما اظرف قولهُ في تواضع الشريف (من الطويل):

اذا كنتَ محمودًا فانَّك مُرْمِدٌ عيونَ الورى فَاكْحَلْهُمُ بالتواضُعِ

ومن قولهِ في حذر العدوّ الصغير (من البسيط):

لا تَحقِرنَّ عـدوًّا لانَ جـانِبُهُ ولو يكونُ قليلَ البَطْشِ والجَلَدِ
فالذُّبابةِ في الجُرْحِ المُمِدّ يدٌ تنالُ ما قَصُرَت عنهُ يدُ الأسدِ

وقال يصف الكريم واللئيم (من المنسرح):

نفسُ الكريمِ الجَوَادِ باقيةٌ فيهِ وان مسَّ جلدَهُ العَجَفُ
والحرُّ حرٌّ وان ألمَّ بهِ الـ ـضرُّ ففيهِ العَفافُ والأَنَفُ
والذُّلُّ لا يهتدي لمكرُمَةٍ لأنَّ ذاكَ المزاجُ منحرفُ
فالقَطْرُ سُمٌّ ان احتواهُ فمُ الـ ـصِلِّ وذُرٌّ ان ضمَّـهُ الصَـدَفُ

ولهُ في الشباب والشيب (من المنسرح):

قالوا شبابُ الفتى خَوُونٌ والشيبُ وافٍ فليسَ يَرْحَلْ

فقلتُ : ابعدتمُ قياساً ذاكَ حبيبٌ وذا مُوكَّلْ

ومن قولهُ في من يرى عيوب غيرهِ دون عيب نفسهِ (من الكامل) :

وأرى عيوبَ العالمينَ ولا ارى عيباً لنفسي وهو منّي اقربُ
كالطَّرْفِ يَستَجْلي الوجوهَ ووجهُهُ منهُ قريبٌ وهو عنهُ مُغْرَبُ

وقال في آخر عمرهِ (من الكامل) :

كانت بُلَهْنِيَةُ الشَّبيبَةِ سَكْرَةً فصحوتُ واستأنفتُ سَيرةَ مُجمِلُ
وقعدتُ ارتقبُ الفَناءَ كراكبٍ عرفَ المَحلَّ فبات دون المنزلُ

وقال في تحامل الدهر على الضعفاء (من الوافر) :

أَجَدِّكَ انَّ من شِيَمِ الليالي م العنيفةِ ان تجورَ على اللَّبيبِ
كمثلِ الخَلْطِ أَغلبَ ما تراهُ يصبُّ اذاهُ في العضو الضَّعيفِ

وقال يصرف النفس عن الملاذّ (من المجتث) :

قد كنتُ اعتَدُّ حِبّاً لُقْياكَ أَنفَسَ رِبْحِ
فقد بدَتْ عن سُلوٍّ سماءُ عقلي بِنُصْحِ
مالي أَهيمُ بحُسْنٍ يكونُ عِلّةَ قُبحي

وقال في العزم والجدّ (من السريع) :

واظِبْ على الحدِّ ولا تَنْخَدِعْ بالهَزْلِ ان ساعدَكَ الجَدُّ
ولا تَقُلْ انَّ لهُ موضعاً فالهزلُ في موضعهِ جَدُّ

ولابن التلميذ بعض ﴿ الالغاز ﴾ كخالهِ ابي الفرج منها قولهُ في سحاب (من الرجز) :

وهاجمٍ ليس لهُ من عُدْوى مُستبدلٍ بكلِّ مَثْوًى مثوى
بكاؤهُ وضحكهُ في معنًى اذا بكَى أضحَك اهلَ الدنيا

وألغز في الميزان فاجاد (من الرجز):

ما واحدٌ مختلفُ الأهواء يَعدِلُ في الارضِ وفي السَّماء
يحكمُ بالقسطِ بلا رِياء أعمى يُري الرشادَ كلَّ راءِ
اخرسُ لا من عِلّةٍ وداء يُغْني عن التصريح بالايماء
يجيبُ ان ناداهُ ذو امتراء بالرَّفعِ والخفضِ عن النداء
يُفصحُ ان عُلّقَ في الهواء

ولهُ لغزٌ في الدرع (من الطويل):

وبَيْضاءَ لا للبيضِ والسُّمرِ قدُّها تظاهرَ في تقويمها الحرُّ والبَردُ
تجلّتْ لنا حبًّا ولم تجرِ في رحًا ولكنْ تولّاهُ لها الرقُّ والبُردُ
وقيتُ بها نفسي فكانتْ كأنّها هي الشمسُ محجوبًا بها الكوكبُ الفردُ

وألغز في الابرة كأبي الفرج فقال (من الطويل):

وكاسيةٍ رُزْقًا سواها يجوزُهُ وليس لها حمدٌ عليهِ ولا أجرُ
مفرّقةٌ للشَّمْلِ والجَمْعُ دأبُها وخادمةٌ للناسِ تخدمها عشرُ (١
اذا خطرتْ جرّتْ فضولَ ذيولها سجيّةُ ذي كِبرٍ وليس بها كِبرُ
ترى الناسَ منها يلبسون الذي نضتْ نعمتُهم جودًا وليس لها وفرُ
لها البيتُ بعد العزّ غيرُ مدافعٍ الى بأسهِ (٢ تُعزى المُهنّدةُ البترُ

١) اي الاصابع العشر ٢) ويروى: الى بابه

أَضرَّ بها مثلي نُحولٌ يجـنها وإن لم يَرُعْها مثلَ ما راعني هجرُ(١

ولابن التلميذ مقاطيع غير هذه فاكتفينا بما سبق ذكرهُ . ولعلَّهُ وقع ايضاً بعض اختلاط بين ما رُوي لهُ وما روي لابي الفرج خالهِ فانَّ بعض ما ذكرناهُ للثاني يروى في كتب اخرى للاوَّل والعكس بالعكس . وما لا ريب فيهِ انَّ كليهما امتاز بالنثر والنظم وانَّما اتَّسع الرواةُ بذكر هبة الله وكان اقرب اليهم زماناً واوسع شهرةً وقد مدحهُ كثيرون من الشعراء ورثوهُ بعد موتهِ . فمن ذلك داليَّةُ السيِّد النقيب الكامل ابن الشريف الجليل رواها ابن ابي اصيبعة (١ : ٢٦٥) اوَّلها :

ابنَ الدولة أسلَمَ للايدي على رغم المناوي والمادي

ثمَّ روى قصيدة للشريف ابي يعلي محمَّد بن البهاريَّة الشهير يقول في مدحهِ :

شمسُ مجد لا تراها ابدًا عن سوآت العُلى مُنكسفَهْ
جلَّ ان يُدرَك وصفٌ مجدُهُ انهُ أكبرُ من كلِّ صِفَهْ
غدَتِ الدنيا ومن فيها سمًا للهُ بالملِ مترفه

وقال اثير الدين ابو جعفر عبدالله يرثيه :

فُقِدَ الطبيبُ فليس يوجد صحَّةٌ م الموجود منَّا بعد ذا المفقود

ورُوي غير ذلك لابن اسماعيل الطغرائي ولابن جكينا ولابن سديع الاصطرلابي ولابي القاسم هبة الله بن المفضل ما يُعرب عن سموّ منزلة ابن التلميذ واعتباره لدى اعيان زمانهِ وادبائهم

(لها بقيَّة)

١) ويروى : بحرُ

الكاهن

او

انتقام شريف

رواية تمثيلية ، ذات مقدمة وثلثة فصول

بقلم المتوري مارون غصن (تابع)

الفصل الثاني

بذل الذات

يمثل المثل كوخ أجله ماهال – غرفة على الطراز الهندي ، بسيطة نظيفة – في المؤخر باب يفتح عن مغارة – الى اليسار نافذة – الى اليمين باب قصب فارسي – فرش هندي – كراسي – اواني خزفية – ماندة عليها آنية شراب ، وقدح ، وثمار .

المشهد الاول

البرهمي — أجله ماهال

أجله : مُرْ ، يا سيدي ، فعبدك مستعد .

البرهمي : (كانه مختطف وبشدة) ، حلت ساعة الانتقام ! الآلهة تطالب بالضحية ! ولتتالنها ! . . . أجله ، انت من خدمة اوليفيه سنبتون ؟

اجله : نعم ، سيدي .

البرهمي : هل له بك ثقة ؟

أجله : نعم ، سيدي .

البرهمي : أتحبُّه ؟

الجه : سيدي ، ان اوليفيه سنبتون مولى قاسي القلب ، يستذلُّ ويُتعب في العمل ، ويُكلفُ ما لا يُطاق ؛ فما وقفت امامه مرَّةً الَّا خائفاً مضطرباً .

البرهمي : أمستعدٌّ انت لخدمة الآلهة ؟

الجه : نعم ، يا سيدي .

البرهمي : اذن تأهَّبْ ، يا حارس المنارة المقدَّسة ، تأهَّبْ لتلقي امام مذبح إلاهتنا «دورجا» ضحيَّة عظيمةً وقمتْ في ايدينا ؟

الجه : متأهب انا ومستعدّ !

البرهمي : اوليفيه سنبتون هو الضحيَّة التي تُريدها الإلاهة ؛ وهاك منازله ، وقد حلَّ بها الدمار . . . هو احد الهنود الأمناء أضرمَ فيها النار . . . سيأتيك اوليفيه ملتجئاً ؛ فعليك ان تدخله في ظلام هذه المغارة المؤدّية الى الهيكل ! . . . أسمعتَ ، يا أجه ؟

الجه : نعم ! نعم ! ولعلَّ خدمتي هذه تخفف من غضب الإلاهة ! ألا فليمت المولى الفظُّ ، الخشن !

البرهمي : وإنَّ في صحبته كاهناً مسيحيا ؛ فلتكن إجارتُك لكليهما موتاً زؤاماً ! (يدفع اليه قنينة فيها سمّ) خذا الى اللقاء ، تذكَّرْ الإلاهة ولا تنسَ سُخط الهيكل !

الجه : عبدك انا ، يا مولاي ! (يخرج البرهمي)

المشهد الثاني

الجه وحده

الجه : لنسكب السمّ في آنية الشراب وعلى هذه النار . (يصبّ من القنينة) آه ! عسى ان ينال انتقامي حظوة في عين الآلهة ! ويلك ، يا أوليفيه سبتون ! وويلك ايضاً ، ايها الكاهن المسيحي ! فقد وافاكما الأجل !

المشهد الثالث

جينور — الجه

أجه : جينور ، اين الصبي ؟

جينور : هناك . . . في الغابة . . يلعب .

ألجه : وحده ؟

جينور : (خائفاً) ها أنا ، يا أخي ، ماض اليه . . . جئتُ لأعرف ما يرى للافرنج ، واطّلع على ما حلّ بمولانا .

الجه (متجهاً الى النافذة) : تعال ، وانظر . . .

جينور : ما بك ، يا ألجه ؟ أرى الشرر يتطاير من عينيك ! (يلتفت الى الخارج) يا لها نارًا هائلة !

ألجه : نعم ، النار في منازل اوليفيه ! . . .

جينور : ويحك ! . . قد اكلتَ خبزه ، ونمتَ تحت سقف بيته ، وتبتهج الان بالنار تلتهم امواله ؟ ! . . .

ألجه : اليوم تُجازى السيّئات بسيّئاتٍ مثلها ! اليوم يومُ الانتقام !

جينور : الانتقام ؟ أيّ شرّ صنع هؤلاء الغرباء ؟

ألجه : أيّ شرّ ؟ ! حسبُهم انهم مسيحيّون ! آه ! صدري يفيض بسبب هؤلاء البيض ، غضباً وسُخطاً !

جينور : أخي مرتع الغدر وخيم ، فلا تخُنْ مولاك !

الجه (هازئاً) : وما عسى ان يتالني منه بعد اليوم ؟

جينور : ما عازمٌ انت ان تصنع ؟

الجه : عزمت ان لا أُبقي على كل من بقع منهم في يدي ! . . . هناك النار تفترس اموالهم . . . وهنا . . . هنا الموت يترصدهم ! اجل كل شيء مُعدّ !

جينور : أخي ، قد تحرّموا بنا ، وسيأتون الينا واثقين آمنين . . وأنت ! . .

الجه : ليأتوا ! . . . اني لهم في انتظار !

جينور : اذن تكون اجارتي لهم هلاكاً وموتاً ؟ !

ألجه : آخر بك ان تدّخر الشفقة لاخواننا ! فالبيض لم يبقَ لهم مناص ! فأياك ، إياك ان تفتح فاك ، وإلّا ألحقتك بهم ! انا اخوك البكر ، فالطاعة لي عليك واجبة ! أجل في يدي حياتك وموتك ! فاحذر !

جينور : ما ذنبي ؟ وبمَ أسأتُ اليك ؟

الجه : ان الآلهة الى دم الافرنج عطشى ، فلا بدّ من إروائها ، لا بُدّ ! دونك هذه المغارة ، فقد غدت لهم قبراً ؛ وهـذه النار سكبتُ عليها سمًّا ناقعاً ! وهذا الماء فيه الموت الزؤام ! اجل ! نُجيرهم في هذا المنزل كي لا يخرجوا منه احياء ! واذا فاجأهم الامير هنا ، فلا يجدهم الّا اسرى ... او جُثثاً باردة !

جينور : يا لَحظك ! ما أشدّ احتدامهُ ! ... ولكن ألا ترحم الكاهن الشابّ وتُخلّي عنه ؟ لقد وصل هذا الصباح ... وسيماؤهُ تدلُّ على الصلاح ...

الجه : الكاهن الشاب ؟ فليست كرفقائه ! كلُّ ضحيّةٍ في رضا الآلهة رخيصة !

جينور : اخي ! ... بحقّ والدك ! ... بحقّ آخر ابن بقي لك من بنيك ... خلِّ عن الكاهن !

الجه (بغلظة) : سُدّ فاك ، وامضِ الى الغابة ؛ فهناك مقرّك ! اسهرْ على ولدي ... البابُ يُقرع ... اذهب ولا تعُدْ حتى ادعوك ... عجّل ، وإلّا ! ...

جينور : آه ! لا حيلة لي ! هو اخي البكر ، فلا يسعني الّا الخضوع ! (يخرج) .

الجه : حلّ القضاء ! (يفتح باب المغارة) هنا مضيفك ، ايها الماتي ! هنا ، هنا قبرك ! (يُغلق باب المغارة ويفتح باب المنزل) .

المشهد الرابع

اوليفيه — الجه

اوليفيه (يدخل عابساً ، يائساً) : الجه ماهال ، أتيتك ملتجئاً ؛ فأجرني هنيهةً ... لا يسعني الفرار ، فان الارض غاصّةٌ برجال الامير !

الجه (منحنياً) : على الرحب والسعة ، مولاي !

اوليفيه (يجلس وينظر من النافذة) : منازلي اضمحلّت ... وكلُّ ثروتي صارت رماداً ... مزارعي خُرّبت فلم يبقَ لها اثر ! أجل ! خسرتُ كل شيء ... كلُّ شيء ! ...

الجه (بمنتهى اللطف) : ايها المولى !

اوليفيه : يدعوني مولى ! ... وأيّةُ ولايةٍ بقيت لي ؟ (سكوت — على

حدة) تُرى ، ايكون ذلك مقدمة عقابي ؟ (ينهض) بمَ يلهون هناك ؟ قد تهدَّد القائد الانكليزي وتوعد باستئصال شأفتهم ؛ فاين بطشه ، واين صولته ؟ (يقف امام النافذة) يا للدمار ! يا لخيبة الآمال ! مَن هناك ؟ جوفروا ؟ هو ، هو ! عاينتهُ راكضاً بين الخرائب ، يُعين الجرحى ... (باحتقار) تلك رسالتهُ ! ... اما انا ، فرسالتي المغامرة الى النهاية ، الى النهاية ! عليَّ ان أعجّل في اللحاق بهم الى حصن ڤكتورية ! (يخرج ثم يرجع حالاً) أنّى لي ان افرّ ، والجنود تملأ السهل ، وهم يعرفوني ؟ آه ! اذاً حلّ القضاء ، ضاق الفضاء ! (يجلس يائساً) .

الجه (بلطف ودهاء) : أالسيّدي ثقةٌ بعبده ؟

اوليفيه : لولاها ، ما لجأتَ الى منزلك !

الجه : لك الشكر ، يا مولاي ؛ فها انا أوصلك الى شاطئ البحر ، في اقلّ من عشر دقائق .

اوليفيه : وكيف ؟

الجه : عندي مجازٌ سرّي ، معبرٌ تحت الارض قديم ، يؤدّي الى هيكل «دورچاه» ، ولهُ مخرجٌ سرّي ، يُوصل الى شاطئ البحر . (يتظاهر بعدم الاهتمام) لكني اخشى ان يظنّ بي مولاي الظنون ... فلستُ اجرؤ ان ألحّ عليه .

اوليفيه (بعد تفكّر) : عرفتك ، يا ألجه ماهال ، خادماً امينا ... لذلك أعتمد عليك ... فضلاً عن أنْ ليس لي وجهٌ للنجاة الّا ما عرضتَ . (بجزم) هيّا أرِني المجاز .

ألجه : اذن انت تثق بي ، يا مولاي ، كلّ الثقة ؟

اوليفيه : نعم ... نعم ... فعجّل قبل فوات الحين .

الجه : أبشرْ ، يا مولاي ، بالنجاة ! (يتجه الى باب المغارة) دونك مدخل المجاز ...

اوليفيه : لا سبيل الّا الولوج . وداعاً ، ايها الخادم الامين ، وشكراً ! (يدخل ، فيُغلق الباب عليه) .

ألجه : أطبق الفخُّ عليك ! فتوغّلْ في ظلمات قبرك ! (يدنو من باب المغارة وينادي) اوليفيه سنيتون ، أبشر بالهلاك ! هو الغرورُ دفعك الى الثقة بي ، فوقعت

بين مخالب اعدائك . . . تهدد ، وتوعد ما شئت . . فليس لك من هذا القبر مناصٌ ولا فلتٌ !

اوليفيه (بصوتٍ مختنق) : آه ! يا لك من خائن !

الجه : ظننتَ انك تتفلتُ من يديَّ . . . ليس لهذا النفقِ مخرج ألا هيكل دورجا . . . في نصف الليل تأتيك الكهنة ، فيجري دمك على مذبح الإلاهة قطرةً قطرة . . . لقد نشبتَ في حبائلي . . آه ! ما ألذّ الانتقام !

المشهد الخامس

يظهر جوفروا على الباب

جوفروا : اليَّ ، يا آل المروة ، اليَّ !

الجه : الكاهن المسيحي . . .

جوفروا : خارت قواي . . . خُضتُ اللهيب لانقاذ المساكين . . . وقتُ بما يجب عليَّ ؛ والآن استطَ عياء وكللا . . . اليَّ ، يا صاح ، اليَّ ، كائناً مَن كنت !

ألجه (على حدة) : أخشى ان يسمع انين اوليفيه ! (يرفع صوته) ليس لك هنا ملجأ امين . . . فلا بدَّ لجنود الامير من ان يصلوا الى هنا . . . فاذا وجدوا عندي واحداً منكم ، أهلكونا جميعاً . . . ففرَّ ، فرَّ حالاً !

جوفروا : آه ! لا أريد ان أعرّضك لغضب الامير . . . انا ماضٍ ؛ لكني اسألك ان استريح هنا هنيهة . (ينظر الى القنينة على المائدة) بحقك ! جُدْ عليَّ بقليل من الماء ، لتشوب اليَّ روحي ، ثمّ أجرُّ نفسي الى بضع خطوات من هذا المكان . . .

ألجه (بخوف وفرح) : هو ، هو يطلب الماء . . . أدخل واستريح قليلاً ، يا مولاي .

جوفروا : لك الشكر .

ألجه (يملأ القدح ماءً) : خذ واشرب ما بدا لك .

جوفروا : لك الشكر . (يتناول الكاس ، فيسمع تنهُّداً خارجاً من المغارة ، فيضع الكاس على المائدة) ما هذا ؟

الجه : ما بك ؟

جوفروا : سمعتُ شيئاً اشبه بأنين !

الجه (مضطرباً) : انت واهم . . . من اين الانين ؟

جوفروا : لا أدري . . . آه ! عقلي تائه !

الجه : إشرب ، يا سيّدي ، اشرب . . . فالماء يُعيد اليك قواك .

جوفروا : نعم ، خلاصي على يدك ! (يتناول الكأس) .

جينور (يصيح في الخارج صيحة عظيمة) : آه ! آه !

جوفروا (يضع الكاس وينهض) : سمعتَ ؟

الجه (هائجاً) : لا شيء ! هو أخي يُلاعب ولدي . . . فاطمئنّ بالًا .

المشهد السادس

يدخل جينور مذعوراً

جينور : ولدك ! ولدك !

الجه : ويلك ! لِمَ الصياح ؟

جينور : لا لومَ عليّ . . . فقد قلتُ لك انّ مرتع الشرّ وخيم ! . . . ان حيّتنا الهنديّة ، مرجانة ، صغيرةٌ هي ، لكنّ نهشتها أشدُّ من انياب الشر هولًا . . . كان الولد يلعب قربي . . . فلم اشعر الّا وقد سقط على الارض مصعوقاً ! . . . آه ! قُضي الامر ! قُطع الرجاء ! . . .

الجه : ويلك ! لئن مات ، فلأقتلنّك به !

جوفروا : فلنسرع اليه ، فانّ الحين لم يفت ! عجّلْ ! (يخرج جينور مسرعاً) .

الجه (يائساً) : مرجانةُ نهشتها قتّالة . . . فلا دواء ولا علاج !

جوفروا : بلى ، علاجٌ واحد . . . ان سمّ الحيّة لم يَسْر بعدُ في عروق الصبيّ . . . فينبغي ان يُمتصّ السمُّ حالًا ! . . .

الجه (مرتدًّا الى الوراء مذعورًا) : أنْ أمتصّ السمّ ؟ ! ان تُلطّخ شفتاي بدم مسموم ؟ . . . لا . . . لا . . . لا ! . . .

جوفروا : هذا الصبيُّ هو ابنك ، وتتردّد ؟ . . . إلبث هنا ، وأنا أُسرع اليه .

الجه : ماذا تريد ان تصنع ؟

جوفروا : أريد ان اقوم بواجبي ! فابقَ هنا ، اذا كنت لاتجرؤ على مرافقتي .
(يخرج) .

المشهد السابع

الجه ماهال وحده

الجه (يستلقي على الكرسي جزعاً) : ويلي ! هلك ولدي ! وهذا الرجل ايضاً معه . . . ما هي إلّا لحظة حتى يغيبان عن الحياة ! . . . كيف تركتُه يذهب ؟ كيف لم أُسرع الى انقاذ ولدي ؟ . . . آه ! لقد أعماني الحقد ، وختق فيَّ كل عاطفة ! (سكوت) هلّا يرجعان ! آه ! وصلا بعد فوات الحين ! (خائفا) ولدي ! . . . بُنيَّ ! . . . ايها المسيحي ! جينور ! ولدي ! (يُقبل ويُدبر) .

المشهد الثامن

الجه — جينور — جوفروا

جينور : هو حيّ . . . نجا !
الجه : نجا ؟
جوفروا : نعم . . . عادتْ اليه الحياة . . . وفتح عينيه وتنفس . قليلًا من هذا الماء لارطب به شفتيه ! (يتناول الكاس ويهمّ بالخروج) .
الجه (ينتزع الكاس من يده) : لا تسقِ من هذا الماء !
جوفروا : ولِمَه ؟ . . . ماذا تخشى ؟
جينور : آه ! كدتُ أنسى ! (يخرج) .
الجه : الويل لي !
جوفروا : ما بك ؟
الجه : صُبَّ عليَّ اللعنات . . . نذلٌ انا ولئيم ! . . . آه انَّ عظمة نفسك تسحقني . . . أنت الخائرُ القوى ، السلاهبُ تعباً ، الرّازح تحت عبء الآلام ، تتشدَّدُ وتُسرعُ لخدمة الغير . . . وانا القويُّ ، النشيط ، أنصبُ لك الشرَك ؟ ! في هذا الماء

سمٌ قاتل ، وقد اوشكتَ ان تشربه .

جوفروا : يا لله !

ألجه : أنت في حالة التعب ، والعطش ، والجوع ، تستعيد ارادتك القويّة لدرء الاخطار عن الناس ؛ وانا في حالة السكينة ، والراحة ، أنصب المكايد لسيّدٍ خدمتُهُ سنين ؟ !

جوفروا : ما تقول ؟ أيُّ سيّد ؟

ألجه (يشير الى المغارة) : خدعتهُ انا النذلُ ، اللئيم ؛ وها هو الان في هذه المغارة الهائلة ، امام الجلّادين والقتلة .

جوفروا : اوليفيه ؟ مات اوليفيه ؟

الجه : هو لا محالة مائت ! في هذا الليل يُسفك دمُهُ على مذبح ذورجا ، بلا رحمة ولا شفقة .

جوفروا : في هذا الليل . . . إذن لم يفُت الحين . . . لنُسرع إلى إنقاذه ! هيّا ، عجّل !

ألجه (يائساً) : هذا مُحال ؟

جوفروا : مُحال ؟ ولِمَه ؟ دلّني ، يا ألجه ماهال ، دلّني على المغارة . . . وأنا ، انا وحدي أُسرع لانقاذه !

ألجه : ما من فائدة ! فهو ، ولو بقي هنا في منزلي ، هالكٌ لا محالة .

جوفروا : ولماذا ؟

الجه : بغتةً ! لا تسلني ؛ فاذا اخبرتك ، هالتك جريمتي ! . . . (سكوت) آه ! اذا شئتَ ، فتحت الباب ؛ ولكن علينا بعد ذلك أن نفرَّ حالاً . (يتجهان نحو المغارة — يرجع جينور — يعالجون الباب بفأس ويضربون بشدّة ، فينفتح) .

اوليفيه (يشب الى الخارج) : اين الخائن ؟

جوفروا : ما لك والخائن ، فانت الآن حرٌّ ، يا اوليفيه !

اوليفيه (مرتدّاً الى الوراء) : انت ؟ أنت أنقذتني ؟ (يتجه ناحية الشمال منتبضاً) .

ألجه (يدنو منه وينحني) : سيّدي . . . ذنبي اليك عظيم . . . بُطولةُ هذا

الكاهن ضعضعتني ؛ فانا ، من الآن فصاعدًا ، عبدُك ، وعبدُ عبدك !

جينور : نعم ، يا سيدي ، اغفر لاخي ، فقد غرَّه الغرور لحظةً .

جوفروا : وقد ندم على ما بدر منه . . . فهيَّا الان نفكر في انقاذك .

الجه : عجلوا ، فقد دنا موعدُ وصول الامير . . . فان بقيتم هنا هلكتم . تعالوا !

اوليفيه : الى أين ؟

جينور : مولاي ، بقيَ باخي . . . ولا تتأخر .

اوليفيه : ما العمل ؟ لا سبيل الَّا هذا . . . هيَّا !

جوفروا : نعم ! وأسرع الى الباخرة ، وليكن الله معك ! (يهمون بالخروج) .

المشهد التاسع

يدخل موريس مضطرباً

موريس : الامير !

اوليفيه (يتوقف) : ما تقول ؟

موريس : قد أحاط بالمنزل !

ألجه : هلكنا !

اوليفيه : ما نجوتُ من خطر الَّا وقعتُ في غيره ! ألَا يسعنا الفرار ؟

جينور : من المحال !

اوليفيه (ساخطاً) : يا للّعنة !

جوفروا (يدنو منه ويقول على حدة) : اللهمَّ جُد عليه ولو بخلاص النفس !

يُرخى الستار

(لها بقية)

بيروت

اخبارها وآثارها

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

القسم الثاني : البحث الثاني عشر

بيروت في القسم الاول من القرن التاسع عشر (١٨٠٤ــ١٨٦٠)

كان الذي يرى بيروت بعد موت الجزّار يكاد يتشاءم بمستقبلها غير انّ الله اذا اراد لبلدٍ خيرًا رفعه من الحضيض الى اوج الرقي والنجاح. وقد صحّ ذلك في عاصمة لبنان فان الذين دخلوها في العشر الاوّل من القرن التاسع عشر يصفونها كبلدة صغيرة تُحدق بها اسوار متداعية تضمّ بضع مئات من المساكن مع قليل من الاسواق الضيقة القذرة لا تُرى في وسطها الاشجار ما خلا جنائن بعض الخاصّة وكانت الحركة التجاريّة قد خمدت لا تكاد سفن الفرنج تقصد مرفأها بعد ان اخرج الجزّار منها عمالهم واتزوى اللبنانيّون في جبلهم خوفاً من بطشه وفتكه. فلم يبقَ في بيروت من النصارى الّا زهاء الف نفس اكثرهم من الروم الاورثذكس ثمّ من الموارنة والروم الكاثوليك

وكان اوّل ما استبشر به اهل بيروت معاهدةٌ تقرّرت بين السلطان سليم خان الثالث وناپوليون الاوّل فُتحت بموجبها أسواق الشام للتجار الفرنسويين فعادوا اليها واخذوا يسعون الى تجديد المعاملات التجاريّة بينها وبين ثغر مرسيلية. وانّما فضّلوا هذه المرّة بيروت على صيداء وطرابلس لحسن موقعها وطيب هوائها وقربها من لبنان ومعاملهِ الحريريّة الكثيرة الاقبال وهي مع ذلك فرضة دمشق ومحطّ قوافل البلاد الداخليّة

ولنا شاهد عياني على احوال بيروت ومعاملاتها منذ اوائل القرن التاسع عشر الى منتصفهِ ألا وهو القنصل الفرنساوي الشهير بكتاباتهِ المتعدّدة عن سوريّة عموماً وعن بيروت خصوصاً نعني بهِ المسيو هنري غويس (H. Guys) الذي استوطن الشام منذ حداثة سنهِ ثمّ تردّد الى بيروت بعد غيبتهِ وتعيّن عليها بصفة قنصل دولتهِ غير مرّة فراقب امورها بكل دقّة وقد قضى أجلهُ نحو السنة ١٨٦٥ . وقد اثبت في كتبهِ ملحوظاتهِ الواسعة عن بيروت وخراجها واخلاق اهلها وترقيها في المعاملات التجاريّة وتقدّمها البطيء في الآداب والعلوم

وقد وقفنا في سياحات بعض الفرنج على احصاء اهل بيروت في السنة ١٨٢٠ فاذا هم يبلغ ٨٫٠٠٠ نفس ثم افادنا عن احصائهم المسيو غويس سنة ١٨٣٨ حيث بلغوا ١٥٫٠٠٠ منهم ٧٫٠٠٠ مسلم والباقون نصارى بينهم الكاثوليك (موارنة وملكيّون وسريان وارمن) ٣٫٥٠٠ والباقون روم ٤٫٠٠٠ ودروز ٨٠٠ ويهود ٢٠٠ وكان عدد الفرنج ٤٠٠

امّا التجارة بعد ما نالها من الكساد في عهد الجزار فانّها عادت الى حسن احوالها في ايام خلفهِ سليمان باشا والي صيداء الذي بعدلهِ وحكمة تدبيرهِ وحسن سياستهِ اصلح الامور وضمّد جراحات البلاد التي كان الجزار نكأها بسوء سيرتهِ وطالت مدته رحمةً للاهلين فبقي في رتبتهِ نحو خمس عشرة سنة . وقد دوّن اعماله الشريفة احد الكتبة في ذلك العهد وهو حنّا افندي الفرّاء ومن تاريخهِ نسخة في مكتبتنا الشرقيّة . ولعلّ هذه الحال كانت زادت رقياً لولا ان عبدالله باشا خلف الخازندار سليمان ضرب على الاهلين الضرائب الفادحة التي اساءت الاحوال بعد صلاحها

وحصلت في السنتين ١٨٢١ و١٨٢٢ من ولاية عبدالله باشا بمزاحمة الامراء الشهابيين للامير بشير مشاغبات ومنافرات دعت الامير الى الفرار من وجه اعدائهِ الى حوران . ثمّ تجدّدت الفتن في عهد درويش باشا بعد عزل عبد الله باشا فهرب الامير بشير الى مصر ولاذ بمحمّد علي فغلبت الفوضى على بلاد الشام ولم تنتهِ حتى عاد عبدالله باشا وردّ الى الجبل الامير بشيراً بكلّ اكرام

وفي السنة ١٨٢٦ انتشبت الحرب بين اليونان والدولة العثمانيّة فارسل الاروام اسطولهم الى بيروت ليستولوا عليها فقصفوا على برجها المعروف بابي هدير ونصبوا

السلاح على سورها فدخلها بعضهم بينما كانت المراكب تطلق مدافعها على المدينة . لكن الاهلين احتشدوا فقاوموهم وبلغ الخبر الامير بشيراً فسيَّر رجالاً لمقاتلتهم . فلما رأى الاروام جموعهم خافوا وركنوا الى الفرار واقلع الاسطول سائراً الى بلاده فاتخذ بعض اصحاب الفتن هذه الفرصة ليثيروا نصارى بيروت باستدعاء الاروام فهاج المسلمون وهرب النصارى الى الجبل وأُلقي بعضهم في السجن ولم تهدأ الامور إلَّا بعد مفاوضات ومصادرات وتغريمات تداخل فيها وزير دمشق عبد الله باشا والامير بشير

وفي السنة ١٨٣١ ارسل عزيز مصر محمَّد عليّ ابنهُ ابراهيم باشا ليفتح سوريَّة ويُدخلها في حكم دولته المصريَّة فكان النجاح حليفهُ وانضمّ الامير بشير بقواه الى المصريّين ليتجو من عَنَت الدولة التركيَّة وظلم عمالها . وبقي المصريون مستولين على بلاد الشام تسع سنين نشروا فيها الامان ونشَّطوا التجارة والصناعة وألَّفوا قلوب النصارى لولا انهم بعد مدَّة هيَّجوا عليهم الرأي العام بما وضعوهُ من الضرائب التي ناءت تحت اثقالها مناكب السوريين عموماً واللبنانيين خصوصاً وحاولوا الزام الاهلين بالخدمة العسكريَّة فقام لمناهضتهم قومٌ من اللبنانيّين بمساعدة الدولة التركيَّة واستفحل الفساد فآلت الامور الى ان اتفقت الدول الاوربيَّة على إبعاد المصريين واعادة بلاد الشام الى المملكة العثمانيَّة . ولمَّا صمَّم المصريُّون على الإباء قدمت مراكب انكليزيَّة يرئسها الكومودور نابيه (C. Nappier) واذ اصرّ محمود بك متسلم بيروت باسم ابراهيم باشا على رفضهِ تسليم المدينة اطلق الانكليز المدافع على أبنيتها وهدموا جانباً منها . ففرَّ سليمان باشا قائد الجنود المصريَّة المرابطة فيها واسلمها الكومودور الانكليزي فأعادها الى الدولة العثمانيَّة . ثمَّ اخذت جنود الاتراك مع اللبنانيين يطاردون عسكر ابراهيم باشا فتعقَّبوهُ الى ان خرج بجيشهِ من سوريَّة الى موطنهِ مصر

وبخذلان المصريين سقطت ايضاً ولاية الامير بشير الكبير الذي اضطرَّ الى تقدمة خضوعهِ واختار لمنفاهُ جزيرة مالطة وذلك سنة ١٨٤١ ثمَّ انتقل منها بعد مدَّة الى الاستانة حيث توفي سنة ١٨٥٠ وقُبر في كنيسة الارمن الكاثوليك (١)

ثمَّ صدر امر الدولة سنة ١٨٤٢ بان يُنقَل من صيداء الى بيروت كرسي الولاية ويرابط فيها الجند وعُهد تدبير امرها الى سليم باشا المعروف بهتهِ واعتداله . فمن

١) اطلب المشرق (٧ [١٩٠١] : ١٠٦٣)

ذاك الحين دخلت بيروت في طور جديد من الحياة. وخراب اسوارها اخذ الناس يشيدون الابنية خارجاً عنها ويحكمون بناءها على طراز لطيف ويجعلون فوقها العلالي ويزرعون بقربها الجنائن والاشجار المثمرة فاتسعت المدينة اولاً من جانبها الشرقي الى جهات نهرها ثمّ شُيدت غيرها من المباني في غربيّها وجنوبها

وراجت تجارة بيروت بعد خروج المصريين بفضل الاجانب الذين استوطنوها وباشروا فيها المعاملات مع الوطنيين وانشأوا فيها المحلّات التجاريّة والشركات الماليّة وازدهرت خصوصاً معامل الحرير. ولنا في احصاءات القنصل هنري غويس دليل باهر على تقدُّم بيروت فانهُ حسب في السنة ١٨٢٧ الواردات الى بيروت من فرنسة بقيمة ١٫٣٥٣٫٧٢٥ فرنكاً والصادرات منها الى فرنسة بقيمة ١٫٢١٤٫٨٣٠ فرنكاً. وفي نهاية السنة ١٨٤٤ بلغت الواردات ٤٫٥٨٨٫٣٢٥ ف والصادرات ٣٫٠٦٧٫٧٥٨ ف وحسب سنة ١٨٤٥ الواردات من مصر الى بيروت بقيمة ٦٫٤٩٠٫٠٠٠ ف والصادرات الى مصر بثمن ٤٫٩٧٩٫٦٠٠ ف يليها الواردات من انكلترة ٥٫٧٣٥٫٨٠٠ ف والصادرات اليها ٥٫٧٦٠٫٩٠٠ ف ثمّ الواردات من تركيّة ٣٫٥٩٨٫٨٥٠ ف والصادرات اليها ٤٫٢٨٣٫٥٣٠ ف ثمّ الواردات من النمسا ٦٧٢٫١٠٠ ف والصادرات اليها ٧٩٫٩٠٠ ف ثمّ الواردات من ايطالية ٤٤٢٫٨٠٠ ف والصادرات اليها ٨٥١٫٦٠٠.

وقد ذكر معظم ما صدر من بيروت فكان للحرير المقام الاوّل بقيمة ١٫٨٦٩٫٥٠٠ ف ثمّ القطن (٤٦٧٫١٢٠ ف) ثمّ السمسم (٢٢٦٫٨٥٠ ف) ثمّ الاسفنج (١٧٢٫٨٠٠ ف) ثم التقود (٨٥٫٠٠٠ ف) ثمّ الصوف (٥٥٫٩١٤ ف) ثمّ العفص (٥٤٫٦٨٤ ف) ثمّ الشمع (٦٫٥٠٠ ف) ولم يتجاوز حينئذٍ ثمن التبغ قيمة (١٫٥٠٠ ف)

فيظهر من هذا ما بلغتهُ بيروت في ذلك العهد من الرقي حتى اصبحت مركز للاعمال التجاريّة لكل سواحل الشام. وكانت الدول على مثال فرنسة اقامت لها قناصل لترويج امور بلادها واولّهم قنصلا انكلترّة والنمسة

الاحوال الدينيّة في هذه الحقبة

وكانت الامور الدينيّة في بيروت تجاري بوُتيرة الاحوال المدنيّة. فكان (الوارنة) ازدادوا فيها عدداً فقصدها كثيرون من اللبنانيين ليتعاطوا فيها التجارة والصناعة او

ليفرّوا مما حصل في لبنان من النازعات والاضطرابات لاسيما بعد نفي الامير بشير الكبير وكان يسوسهم اساقفة افاضل اخذوا يقيمون في بيروت اخصّهم المطران بطرس ابو كرم الذي تعيّن لتدبير ابرشيّتها خلفاً للمطران مخائيل فاضل سنة ١٨١٩ فرعاها بغيرة مدّة ٢٥ سنة وكان يتنقّل في سكناه بين بيروت وقرى ابرشيّته وكانت وفاتهُ في بكنتا وطنهِ في ١٥ ك ٢ سنة ١٨٤٤ . وقام بعدهُ مطرانـاً على بيروت الراهب اللبناني طوبيًا عون فساس رعاياهُ احسن سياسة واحرز لهُ بفضلهِ وجهادهِ ذكرًا طيّباً بين ابناء ملّتهِ واهل وطنهِ وكانت وفاتهُ في سنة ١٨٧١

وتمتع (الروم الكاثوليك) في القسم الاوّل من القرن التاسع عشر بالراحة الدينيّة تحت رعاية ثلثة من ابناء الرهبانيّة الحنّاويّة الكريمة وهم السادة ثاودوسيوس بدوه الحلبي خلف السيّد اغناطيوس صرّوف (١٨١٤ــ١٨٢٢) واغناطيوس دهّان (١٨٢٢ــ١٨٢٤) واغابيوس رياشي بعد فراغ الكرسي مدّةً (١٨٢٨ــ١٨٧٨) وفي عهدهِ بُنيت كنيستهم الكبرى الواسعة الارجاء اللطيفة البناء ذات الايقونستاس البديع على اسم مار الياس النبيّ . ولم يتكدّر صفاء الطائفة بغير ما حصل من الانشقاق بسبب الحساب الجديد سنة ١٨٥٧ فانسلخ بعض الجهّال عن كنيستهم تمسّكاً بحساب قديم ظهر غلطهُ لكل العلماء

أمّا (الروم الاورثذكس) فتسقّف على كنيستهم بعد وفاة مكاريوس صدقة سنة ١٨٠٤ اثناسيوس مخلّع الذي توفي سنة ١٨١٣ ثم بنيامين († ١٨٤٨) ثم ايروثاوس الى السنة ١٨٦٤ فاستقال

الرهبانيّات اللاتينيّة في بيروت

ومما نالتهُ بيروت لنجاحها الديني في النصف الاوّل من القرن التاسع عشر حلول (الرهبانيّات اللاتينيّة) في ربوعها فكان اوّل من عاد اليها بعد انقطاعهم عنها بسبب الحروب وظلم الجزّار (الآباء الفرنسيسيّون) كما سبق . ثمّ (الآباء الكبوشيون) وكلهم من الايطاليين غالباً . وكان للكبوشيّين منزل ضيّق وسط المدينة تحت كنيسة القديس جرجس المارونيّة الحاضرة فلمّا ترأس عليهم الاب زكريّا فانشيولي (Zacharie Fanciulli) اقتنى لهم المحلّ الذي يسكنونهُ اليوم فعمّروا هناك كنيستهم الكبيرة

على اسم القديس لويس ملك فرنسة وهي الكنيسة الراعوية للاتين

وفي العشر الثالث من القرن التاسع عشر سكن (اللازاريون) بيروت وقاموا خصوصاً في خدمة راهبات المحبة اللواتي قدمن اقطارنا مع رئيستهن الطيبة الذكر الاخت جيلاز سنة ١٨٤٧ فاخذن منذ ذاك الحين يتفانين في خدمة الفقراء والمرضى والمبئوسين بما عُرفن به من الهمة والنشاط والتجرُّد التامّ

امّا (اليسوعيون) فكان اوّل حلولهم في بيروت السنة ١٨٣٩ في زمن حكم المصريين على الشام وكان رئيسهم اذ ذاك الاب مكسيميليان ريلو البولوني الاصل وهو المعروف بالاب منصور فانتهز فرصة تسامح المصريين مع النصارى فاقتنى ملكاً واسعاً خارج اسوار المدينة كان مزروعاً بشجر التوت واخذ يُعدّ سكنى لاخوته ببناء دير صغير. فاتت الوقائع السياسيّة في تلك الآونة بين الدول والمصريين فاضطرّتهُ الى تأجيل العمل ولاسيما انّهُ كان قد تعيّن كنائب القاصد الرسولي للسيد ثلاردیل فكانت واجبات مهمّته تدعوهُ الى التداخل في امور النصارى فلم يمكنهُ ان يُخرج نيّتهُ الى حيز الوجود إلّا بعد نزوح المصريين عن الشام. فاستأنف العمل بعزم وفكّر ايضا بمدرسة للصناعة لتهذيب احداث من النصارى. لكنّ الخبر الاعظم استدعاهُ في تلك الاثناء الى رومية ليقيمهُ رئيساً على مدرسة انتشار الايمان (البروبغندا) فخلفهُ الاب مبارك بلانشه في رئاسته وبعد معاكسات شتى وعقبات وجدها في طريقه اتاح لهُ الله ان ينجز العمل ويعمّر الدير في الحيّ المعروف اليوم بالصيفي ويفتح فيه مدرسةً للاحداث فتمّ ذلك في تشرين الثاني من السنة ١٨٤١

وفي اوائل هذا القرن التاسع عشر كان القنّاد الرسوليون يسكنون في لبنان فسكن السيّد لويس غندلفي (١٧٩٦ــ١٨٢٥) بين اخوته اللازاريين في عين طورا ثمّ عشر هناك خلفهُ السيّد لوزانّا (١٨٢٥ــ١٨٣٢) دارًا للقنادة سكنها هو وخدّامهُ. ثمّ اخذوا يتردّدون الى بيروت وفيها استقام وتوفّي السيّد فرنسيس ثيلاردیل (١٨٤١ــ١٨٥٢) وقد بنوا شرقيّ ساحة الشهداء دارًا واسعة سكنوها الى عهد السيّد لودوفيكو بياڤي الذي انتقل الى دار القنادة الحديثة في رأس بيروت وكذلك باع دار القنادة في عين طورا واتّخذ للاصطياف دار حريصا. فكان وجود القنّاد الرسوليين في بيروت منشطاً لكل الاعمال الدينيّة فيها

ومنذ ذاك الحين خصوصاً أنشئت الاجتماعات الدينية كالاخويات والرياضات السنوية في كنائس الرسلين ولا سيما في أيام الصوم الكبير . تخص بالذكر اخوية اعيان بيروت الكاثوليك المنشأة سنة ١٨١٩ في كنيسة الآباء اليسوعيين فبلغت اليوم سنتها السابعة والسبعين . وكان من ثمارها اعمال خيرية مشكورة كمساعدة الفقراء وتهذيب الصغار وزيارة المحبوسين وتعزيز روح العبادة في بعض شهور السنة

الآداب في بيروت

ومما جعل لبيروت ايضاً مقاماً رفيعاً في القسم الاول من القرن التاسع عشر انشاء ﴿المدارس﴾ فيها فكانت اولاً كتاتيب صغيرة تُقرأ فيها مبادئ القراءة والكتابة والحساب يعلم فيها بعض المعلمين البسطاء لكل طائفة مدرسة ثم سعى المرسلون الى فتح مدارس ارقى شأناً وانما لم تبلغ شأوها إلا بعد حوادث السنة الستين . وكان يدرس طلبتها مع العربية احدى اللغتين الايطالية او الافرنسية واصول العلوم

وقدم الى بيروت بعض اعضاء جمعية التوراة (البليشيين) سنة ١٨٢٦ وغايتهم نشر تعاليمهم البروتستانية فتصدى لهم السيد بطرس كرم ونفّد اضاليلهم . لكنهم عززوا قواهم وسكنوا بيروت ونقلوا اليها مطبعتهم في ماظة وكان في مقدمتهم زعيمهم عالي سميث الذي بعد تضلعه من العربية سعى مع رفيقه فان ديك وغيرهما من بعض الوطنيين اخصهم الشيخ ناصيف اليازجي وبطرس البستاني فعربوا التوراة وعنوا بنشرها وتوزيعها بعد ان حذفوا منها الاسفار المدعوة بالاسفار الثانوية كالحكمة وابن سيراخ ونبوة باروخ وطوبيا والمكابيين وحرفوا على مقتضى آرائهم بعض آيات العهدين المقدسين . وكان ذلك سبباً لانشاء الروم الاورثذكس جمعيتهم المدعوة الجمعية المورية الاورثذكسية كانوا يجتمعون قريباً من الكنيسة فيخطبون في مواضيع دينية ويقرأون في كتاب ملاطيوس ضد البروتستانت ثم طبعوا ما املاه من الكتب المقدسة

واجتهد المرسلون الاميركان في فتح المدارس في بيروت وفي انحاء الجبل للذكور والاناث نحو السنة ١٨٣٥ ثم انشأوا في بيروت مدرسة داخلية للذكور سنة ١٨٤٠ كانت غايتها الخاصة نشر مذهبهم والحقوا بها سنة ١٨٤٦ مدرسة مثلها للاناث . وهذا ما دفع راهبات المحبة ان يخصصن للبنات الكاثوليكيات مدارس ابتدائية مجانية

للفقراء ومدارس ثانوية للطبقة الوسطى من الاهلين منذ السنة ١٨٤٧ وقبان ايضاً اوانس داخليات في ديرهن سنة ١٨٤٩

﴿مطابع بيروت الاولى﴾ ومن المعلوم انَّ المطابع من اعظم اسباب الرقي والتفقُّه وقد كان بنها السهم المعلَّى لبيروت في النصف الاوَّل من القرن التاسع عشر كما بيَّنا ذلك في مقالات واسعة أفردناها لتاريخ الطباعة في الشام وفلسطين والعراق(١

كانت (مطبعة القديس جاورجيوس) للروم الاورثذكس اوَّل مطبعة ظهرت في بيروت بهمَّة الشيخ ابي عسكر الجبيلي في اواسط القرن الثامن عشر طُبع فيها حينئذٍ بعض الكتب الدينيَّة والطقسيَّة كالزامير والسواعيَّة والتعليم المسيحي ثمَّ خمدت حركتها فلم يبرز منها للنور شيء يذكر الى السنة ١٨٤٥ فعادت الى نشر الدينيَّات والطقسيَّات بحرفها القديم الى آخر العهد الذي نحن بصدده

واعظم منها في بيروت (المطبعة الاميركية) التي استعارت اوَّلًا أدواتها وحروفها من مطبعة بشة الاميركان في مالطة وادارها عالي سميث فطبع اوَّلًا فصل الخطاب للشيخ ناصيف اليازجي وبعض كراريس دينيَّة. ثمَّ جدَّد ادواتها واستبدل حروفها بما هو أشرق والطف فسبكها في ليبسيك وطُبع عليها ترجمة الكتاب المقدَّس السابق ذكرها (١٨٦٠ــ١٨٦٥) وخلفهُ الدكتور فان ديك فبلَّغها كاملها فنُشرت فيها عدَّة كتب منها مدرسيَّة وعلميَّة وادبيَّة ومنها دينيَّة وجداليَّة بروتستانيَّة بلغ عددها نحو خمسين كتاباً قبل حوادث السنة ١٨٦٠

ثمَّ رأى الكاثوليك حاجتهم الى مطبعة كبيرة تفي بلوازم دينهم وتهذيب اولادهم فتحفَّز للامر المرسلون اليسوعيون فأنشأوا (المطبعة الكاثوليكية) سنة ١٨٤٨ فنُشر فيها اوَّلًا نحو عشرة كتب دينيَّة ومدرسيَّة على الحجر ثمَّ اتَّخذوا لاشغالها الحروف المسبوكة في باريس سنة ١٨٥٣ وبقيت مطبوعاتها محصورة العدد زمناً حتى اتَّسع نطاق اعمالها وزاد الاقبال على منشوراتها وتحسَّنت ادواتها فبلغ ما نشرته من التآليف المختلفة قبل السنة ١٨٦٠ نحو عشرين كتاباً

والمطبعة الرابعة التي ظهرت في هذه الحقبة هي (المطبعة السوريَّة) لصاحبها الشهير المرحوم خليل الخوري الذي عيَّنتهُ الدولة التركيَّة مديراً للمطبوعات فأنشأ

١) اطلب اعداد المشرق في السنتين الثالثة والرابعة للمجلَّة ١٩٠٠ و١٩٠١

مطبعتهُ سنة ١٨٥٧ ونشر اوّل جريدة ظهرت في سوريّة دعاها حديقة الاخبار وفي مطبعتهِ نُشر الدستور العثماني وبعض الكتب القانونيّة والتجاريّة حتى السنة ١٨٦٠

وظهرت ايضاً في اواسط القرن التاسع عشر مطبعة عُرفت اوّلاً بمطبعة ابراهيم افندي (النجّار) الطبيب نشر فيها تاريخهُ للدولة العثمانيّة المعروف بمصباح الساري ونزهة القاري سنة ١٢٧٢ﻫ (١٨٥٥م). وهذه المطبعة ورثها بعد ذلك يوحنّا النجّار اخو ابراهيم فاشتغل بها بعد السنة ١٨٦٠ ودعاها (المطبعة السوريّة)

فهذا مجمل ما ظهر من المطابع في تلك الحقبة فساعدت على ترقية الآداب ونشر التمدُّن العصري واستنهاض همم الكتبة وكانت الدولة التركيّة تُطلق لها الحرّية لا تهتمّ اوّلاً بمراقبتها

وامتازت ايضاً بيروت في اواسط القرن التاسع عشر ﴿بنواديها العلميّة﴾ سبق الى انشاء اوّل نادٍ منها المرسلون الاميركان سنة ١٨٤٧ جمعوا فيهِ بعض أدباء الدينة الساعين بتعزيز العلوم العصريّة في وطنهم كالشيخ ناصيف اليازجي والمعلم بطرس البستاني وميخائيل مدوّر وسليم دي توفل ويوسف كتفاكو مع اساتذة المدرسة الاميركيّة . فكانوا يجتمعون في اوقات معلومة ويلقون بعض المحاضرات الادبية والعلميّة التي نشروا منها جانباً في مجموع لعالي سميث دعاهُ مجموع الفوائد وفي كراريس صغيرة اصدروها سنة ١٨٥٢ ثمّ بطلت جمعيّتهم بعد قليل

وكذلك سعى اليسوعيّون الى انشاء جمعيّة من الكاثوليك سنة ١٨٥٠ دُعيت (الجمعيّة الشرقيّة) امتاز من اعضائها عدّة رجال كابرهم النجار الطبيب وفرنسيس مراش والشاعر الشيخ حسّا ابي صعب والوطني رزق الله خضرا والمؤرخ طنوس الشدياق وحبيب اليازجي

وفي ذاك الزمان اجتهد ايضاً الروم الاورثذكس في تأليف جمعيّة في بيروت لاجل العلوم والفنون ضمّت اليها بعض وجوه ملّتهم كميخائيل شحاده وفضل الله بسترس واسعد سرسق ونعمه بركس طراد والقس جراسيموس الشامي

على انّ حياة هذه الجمعيّات لم تطل مدّتها وكانت الحكومة التركيّة تنظر اليها شزراً وتخاف ان يغلب عليها روح السياسة

فترى انّ بيروت نهضت في اواسط القرن التاسع عشر نهضةً راقية وبرزت

مسرعةً في معارج التقدُّم فهَّدت لسائر انحاء الشام الطريق لمجاراتها في هذه الحلبة الشريفة. ولو اردنا سَرْد ما نُشر وقتئذ من التآليف الادبية والتاريخيَّة والعلميَّة والفنيَّة لاتينا بمجلدٍ واسع وما كان ذلك الَّا مقدِّمة لحقبةٍ ثانية كست بيروت حلَّةً من المجد لا تُبارى (١

على ان المدينة لم تسلم من بعض الآفات التي حلَّت بها كنكبة الزلازل في السنة ١٨٢٦ وداء الطاعون والهواء الاصفر غير مرَّةٍ . وتكدُّر اهلها بما حصل من فتن الدروز سنة ١٨٤١ في لبنان وتحامُلهم على النصارى .

(لهُ بقيَّة)

الآداب العربيَّة

في الربع الاول من القرن العشرين

الحقبة الثانية (١٩٠٨—١٩١٨)

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

ادباء النصارى

توفَّر في هذه الحقبة عدد ادباء النصارى الذين اشتهروا بملازمة الآداب العربيَّة فانتقلوا في اثنائها الى دار البقاء. وها نحن نقدِّم عليهم ذكر احبار الكنائس الشرقيَّة وكهنتها الذين خلَّفوا شيئاً من آثار قريحتهم

---

(١) راجع الجزء الاوَّل من كتابنا الآداب العربية في القسم الاول من القرن التاسع عشر (الطبعة الثانية ١٩٣٤)

الاساقفة

رُزئ (الموارنة) بوفاة احد كبار رجالهم السيد ﴿بطرس زغبي﴾ رئيس اساقفة قبرس في ٢٨ تشرين الاوّل سنة ١٩١٠ كان مولدهُ سنة ١٨٣٣ وتخرّج في مدرسة عين ورقة ثم في مدرستنا الاكليريكيّة في غزير . نشر مع الخوري يوسف البستاني مجموعاً مدرسيًا لطيفاً تحت عنوان نخب الملح وغرّة المُنح مع شروح واسعة وطبعاهُ على الحجر في مطبعتنا البيروتيّة في اوائل عهدها سنة ١٨٥٠ وكان خطيباً مصقعاً

وفي اواسط السنة ١٩١٤ قُبيل الحرب الكونيّة برح الحياة الفانية المأسوف عليهِ كثيراً لسموّ فضلهِ السيد ﴿يوسف نجم﴾ مطران عكّا شرفاً والنائب البطريركي. افاد طائفتهُ بتعريبهِ المدقّق والفصيح لاعمال المجمع اللبناني وطبعهُ في مطبعة الارز في جونية سنة ١٩٠٠ طبعاً متقناً

وفجعتنا الحربُ الكونيّة بوفاة حبرَين آخرين جليلين السيد ﴿بطرس شبلي﴾ رئيس اساقفة بيروت والمطران ﴿يوسف صقر﴾ رئيس اساقفة حماة . عُرف الاول بثقوب فهمهِ وسعة معارفهِ التاريخيّة والاثريّة نشر نُبذاً منها في المجلّات الاجنبيّة والوطنيّة . وقد اكتسب شكرنا بنشرهِ الترجمة العربية طائفتهِ البطريرك اسطفانوس الدويهي فأنجز طبعها سنة ١٩١٣ . وكان السيد بطرس شبلي درس مدّةً في كليّتنا ثم رحل الى باريس فدرس في مدرستها الكهنوتيّة الشهيرة بسان سولبيس. وقد توفي في آطنة في السابعة والاربعين من عمره ضحيّة محبّته لفرنسة في ٢٠ آذار سنة ١٩١٧. اما السيد يوسف صقر فأحرز كل علومهِ في مدرستنا الاكليريكيّة البيروتيّة وتوفي بعد شهر من وفاة السيد شبلي في ٢٠ نيسان ١٩١٧ نشرنا لهُ في المشرق مقالات حسنة في اخلاق اللبنانيين وعاداتهم القومية

(الروم الكاثوليك) وفي هذه الحقبة الثانية من القرن العشرين استأثر الله بذاك الحبر الجليل ذي المآثر الطيّبة المطران ﴿جرمانوس معدّد﴾ المولود في دمشق سنة ١٨٥٣ والمتوفّى في بيروت في ١٣ شباط من السنة ١٩١٢ وكل يعرف ما افاد بهِ الوطن من الاعمال الشريفة لاسيما انشاؤهُ لجمعيّة المرسلين البولسيين الذين يشتغلون في كرم الربّ بغيرة وثبات . وقد اغنى الآداب العربية بتآليف شتى منها دينيّة كرحلة الفيلسوف الروماني والكلام الحيّ وسبيل الصلاح وحسن الختام . ومنها طقسية كرفيق العابد والسواعيّة

والميناون وتفسير القدّاس وخدمة القصح ونشائد روحية وتحقيق الاماني لذوي الطقس اليوناني. ومنها ادبية لطيفة كذخيرة الاصغرين ورواية حسنا ببيروت ومقالات وفصول ممتعة نُشرت في مجلّة المسرّة التي أنشئت بهمّته وجُمع بعضها في كتابه السلوة فاستحق بها جميعاً شكر الوطن (١

وفي أيّام الحرب المشئومة توفي في دمشق في ١٧ شباط ١٩١٦ رئيس اساقفة صيدا السيّد «باسيليوس حجار» المولود في اوائل سنة ١٨٣٩ في جزّين بعد ان خدم طائفته الكريمة بصفة كاهن غيور ثم في رتبة متروبوليت على بصرى وحوران ١٨٧٠ واخيراً على صيدا من السنة ١٨٨٧ الى سنة وفاته. عُرف حيثما جلّ بمجدّه ونشاطه في خدمة طائفته. لهُ من آثار القلم تعريبهُ لكتابين للطوبوي اليسوعي الكرديناك بأرمين وعما وصيّة السيد المسيح الاخيرة من على الصليب وسُلّم السادتين مع تأليف لهُ في وصف مقام سيّدة المنطرة

ومن ضحايا الحرب الكونية من (الكلدان) السيد الجليل المطران «ادّي شير ابرهيما» رئيس اساقفة سعرت قتلهُ الاتراك جوراً فمات ميتة الابرار الشهداء في منتصف صيف السنة ١٩١٥ وهو في عزّ كهولته في الثامنة والخمسين من عمره (٢. وقد نفع الوطن والآداب بما نشرهُ من التآليف التاريخية والدينيّة والادبيّة كتاريخ كلدو واثور طبع منه جزئين وفُقد باقيه في الحرب. ومن مآثره تاريخ مدرسة نصيبين الشهيرة والالفاظ الفارسية في العربية ونشرَ في المجلّات الاوربية وصف مخطوطات مكاتب ماردين وديار بكر وسعرت والموصل ونشر في مجموعة الآباء الشرقيين تاريخاً قديماً لاحد النساطرة هذا ما عدا تآليف كلدانية مدرسية عديدة. ولهُ في المشرق فصول مدقّقة عن طائفة الكلدان جازاهُ الله خيراً

وفي اثناء الحرب المذكورة فقد الكلدان اسقفاً آخر السيد «توما اودو» مات ايضاً ضحية الاتراك والعجم في كرسي اسقفيته اورميا في شهر آب ١٩١٨ كان مولدهُ في القوش سنة ١٨٥٥ وقد اشتهر خصوصاً بما نشرهُ من التآليف الكلدانيّة في مطبعة الموصل للآباء الدومنيكان اخصّها معجمٌ مطوّل للكلدانية الحديثة في جزئين

١) تُطلب سيرة السيد جرمانوس في المشرق (١٥ [١٩١٢] : ٤٥٦-٤٦٥)

٢) ترجمتهُ في المشرق (٢٣ [١٩٢٥] : ٢٦-٤٤)

وترجمتهُ للكلدانية كتاب كليلة ودمنة وقوانين المجمع التريدنتيني وميزان الزمان للاب نيرنبرج اليسوعي

وفي آخر شهور الحرب في ٢٠ آب ١٩١٨ توفي من (السريان) في مدرسة الشرفة اسقف رستن شرفاً السيد ﴿اوسطاثيوس موسى سركيس﴾ المولود في دمشق سنة ١٨٤٨ . كان احد تلامذة مدرستنا الاكليريكية في غزير علّم العربية في كليتنا ثم ترأس عدّة سنين على مدرسة الشرفة . ومن آثارهِ تعريبهُ لكتاب التاريخ المقدّس للاب شوستر المطبوع في مطبعتنا سنة ١٩١٠

وتوفي من اساقفة الروم الاورثذكس في زمن الحرب في اميركا السيّد ﴿افانيل هراويني﴾ اسقف بروكلين في ٢٧ شباط ١٩١٥ . كان مولدهُ في بيروت سنة ١٨٦٠ ودرس في مدرسة خالكي في الاستانة . ثمّ أقيم سنة ١٨٩٥ راعياً للجالية السورية الاورثذكسية في نيويرك فنشر هناك مجلّة الكلمة سنة ١٩٠٥ ونقّح كتب طائفتهِ الطقسيّة كالقنداق والافخولوجي . ومن تآليفهِ كتاب اللمحة التاريخيّة في اخويّة القبر المقدّس اليونانية

الكهنة اللاتينيون والرهبان المرسلون

فقدت الآداب العربية احد افاضل كهنة الادمن ورجال البرّ والصلاح الورتبيت ﴿بولس بليط﴾ ولد في حلب سنة ١٨٢٧ وفيها توفي في ١٢ ت١ سنة ١٩١٠ . اوقف حياتهُ على خدمة آل وطنهِ عموماً وابناء طائفتهِ خصوصاً فاشتهر بتدابيرهِ وسموّ فضائلهِ واوقف قلمهُ في اوقات الفراغ لتأليف الكتب من لاهوت وفلسفة وتاريخ وعبادات طبع قسماً منها مثل كتابهِ الدعامة في وجود الله وخلود النفس وكتاب النبراس في خمس محاورات دينيّة وتاريخ ابرشيّة حلب في مجلة المشرق . وعرّب كتاب رياضة تشرين الثاني لاسعاف الانفس المطهريّة . ولهُ عظات ومياومات تاريخيّة ورحلة الى الاستانة ورومية سنة ١٨٦٩ لحضور المجمع الواتيكاني (١

وفي السنة التالية في ٥ ت١ ١٩١١ أسفت حلب على فقدها لاحد ابنائها البريقين في الآداب العربية القس ﴿توما أيوب﴾ السرياني الكاثوليكي المولود في الشهباء في

١) راجع ترجمتهُ لحضرة القس جرجس منصور في المشرق (١٧ [١٩١٤] : ٨١-٨٦)

٢٢ آذار سنة ١٨٦١ درس العلوم في كليتنا الاكليريكية وفي دير الشرفة وانقطع بعد كهنوته في وطنه للتدريس والتأليف وكان مولعاً بدرس العربية فجمع له مكتبة حسنة من مخطوطاتها ومطبوعاتها. وقد تخرّج عليه كثيرون من الشبّان وكان يجتمع بادباء حلب فيتفاوضون في الفنون الادبية واللغوية وقد عرّب روايات عديدة منها للتشيل ومنها خيالية ادبية طُبع منها رواية فاسيولا ورواية الى ابن ورواية الكفّارة في مطبعتنا الكاثوليكية وكلها تمتاز ببلاغتها. ومن تآليفه الروحية كتاب تحقيق الامنية في عبادة الوردية

وفي أيّام الحرب الكونية نُجمت الطائفة المارونيّة باحد كهنتها الضليعين بالآداب الدينيّة والدنيويّة معاً المنسيور ﴿يوسف العلم﴾ توفي في شهر تشرين الثاني سنة ١٩١٧ في داريّا وكان احد تلامذة عين ورقة الممتازين فرُقّي في طائفته الى مناصب شريفة كالرئاسة على مدرسة الحكمة والنيابة الاسقفية. له تآليف عديدة نُشرت بالطبع كتعريبه لتفسير رسائل مار بولس وكتاب قداسة الكاهن واعترافات مار اوغسطين وتأملات الوردية ومن آثاره النثريّة والشعريّة كثير مما نشرناه في مجلة المشرق ثم جمعهُ في كتاب دعاهُ «نفثات القلم على يدِ العلَم»

وفي تلك السنة عينها توفي في ١٨ شباط ١٩١٧ كاهن مارونيّ آخر كانت توسّمت فيه طائفتهُ الخير وهي تنتظر منهُ خدماً جلّى الخوري ﴿لويس دريان﴾ مولود بيروت سنة ١٨٧٩. كان درس العلوم في جامعة لوفان الشهيرة فنال شهادتي الدكتوريّة في الفلسفة واللاهوت. ولمّا عاد الى وطنه احبّ ان ينفق عليه كنز علومه فنشر سنة ١٩٠٦ كتاباً في الفلسفة التوماويّة بيّن فيه فضل القديس توما الاكويني في علمَي الفلسفة واللاهوت. ونشر بعض المواعظ التي القاها في كنيسة مار مارون تحت عنوان «الاعتقاد تجاه العقل والدين». وعرّب للفلكي الاب مورو كتاب «من اين جئنا» وللاجتماعي جول ليمتر كتابهُ «تهذيب الارادة» ونشر في مطبعته المعروفة بمطبعة النهضة تآليف ادبية شتى وخصوصاً مجلّته «الرسالة» والمحاسن الروائية

وفي زمن الحرب رُزئت الطائفة اللاتينيّة في القدس الشريف باحد كهنتها الاجلّاء ﴿دون خليل مرتا﴾ الذي تخرّج في مدرستنا الاكليريكية في غزير وانتدبهُ السيّد البطريرك الى تهذيب التلامذة المترشحين للكهنوت في القدس فخدمهم سنين طويلة

وقد ألّف لتدريسهم كتابهُ الخلاصة الجليّة في قواعد اللغة العربية في جزءين ونشرنا لهُ في المشرق مقالات لغويّة وتاريخيّة وانتقاديّة غاية في الحسن والدقة . وكان المذكور ضليعاً ايضاً بعلم الآثار فنشر بالفرنسويّة والايطالية كتباً حسنة منها كتابهُ عن دار بيلاطس وعن موقع بيت ايل ومكان وفاة مريم العذراء والتحفة الكريمة في الجمعة العظيمة

وفي هذه الحقبة الثانية خسرت رسالتنا السوريّة بعض مرسليها العاملين الذين تركوا آثاراً طيبة من قلمهم . نخصّ منهم بالذكر الاب ﴿ انطون رباط ﴾ الذي كانت تُبنى عليهِ آمال طيّبة لخدمة الآداب والوطن فاستأثر بهِ الله في ١١ ايار سنة ١٩١٣ وهو لم يتجاوز السادسة والاربعين من عمره ومع قصر حياتهِ امكنهُ ان ينشر قسماً حسناً من الآثار التي كان جمعها في خزائن اوربّة . فمن ذلك مجلدان في عدّة اجزاء نشر فيها آثار تاريخيّة جليلة عن كنائس الشرق منذ القرن السادس عشر . ومن مطبوعاتهِ المشتهة روايتهُ التمثيليّة البديعة في نكبة البرامكة ومقالاتهُ عن صحّة الاناجيل المقدّسة وسلامتها من كلّ تحريف وعدّة آثار تاريخيّة قديمة كرحلة اوّل شرقي الى اميركة وترجمتي الاسقفين نافوطس نصري وعبد الله قرألي وقد ترك مخطوطات لم يسمح لهُ الوقت بنشرها

وفي الجمعة الاولى من الحرب العمومية في آب ١٩١٤ أُصيبت رسالتنا بفقد كاهن آخر ترأس على كليتنا في بيروت مدّة سبع سنين وهو الاب ﴿ جبرائيل اده ﴾ الذي توفي في القاهرة وهو ساعٍ في القاء مواعظ رياضة روحية هناك . كان خدم سنين طويلة الآداب العربية بالتدريس والتأليف . تكرّر مراراً طبع كتابهِ القواعد الجليّة في علم العربية . ولم يدّخر وسعاً في تعزيز اللغة العربية بين الناشئة

وانتقل ايضاً الى جوار ربهِ في زمن الحرب في غزير الاب ﴿ ادوار سلزاني ﴾ في غزّة شباط سنة ١٩١٦ . خدم الآداب الدينية بتعريب بعض الكتب التقويّة في العبادة نحو مريم العذراء وفي حب يسوع المستقيم

وفي ٢٨ ايلول من تلك السنة قُتل في الحرب الكونية بينما كان يتفانى في ساحة الوغى بعلاج الجرحى الاب ﴿ فردريك بوثيه ﴾ الذي كان علّم الآداب والبيان في كليتنا وعُني بجمع تاريخ مطوّل لسوريّة من عهد الفتح الروماني الى زماننا فطبعهُ على الحجر بالفرنسويّة في نيف و٦٠٠ صفحة ونشر في مجلة الشرق المسيحي تاريخ

الشام على عهد الدولة الطولونية وكان المذكور ضليعاً بعلوم الاديان

وقبل ختام السنة عينها في ١٦ك١ ١٩١٦ قضى نحبهُ في عين ابل في بلاد البشارة الاب ﴿يوسف حوّاء﴾ الحلبي الاصل. وُلد سنة ١٨٥١ وتقلّب في عدّة وظائف مدنيّة في لندن ثمّ ترهّب سنة ١٨٨٢ واشتغل بالاعمال الرسولية مدّة سنين عديدة في رسالتنا السوريّة. نشر في مطبعتنا معجماً ضخماً في اللغتين العربية والانكليزيّة

وفي السنة التالية في ٤ ايّار ١٩١٧ توفي في مستشفى الراهبات الالمانيّات الاب ﴿دونا ثرنيه﴾ المعروف بالاب عطاء الله المولود في فرنسة سنة ١٨٣٦ خدم الآداب العربية بتآليف واسع في اصول اللغة العربية وألّف ترجمة القديسة جان دارك وعرّب كتاب الاقتداء بالمسيح. ولهُ تآليف شرقية مخطوطة في مكتبتنا بالعربية والافرنسية

وفي ٢٣ من الشهر والسنة ذاتها توفّى الله مرسلاً آخر من الرهبانية الافرنسيّة في حريصا الطيّب الذكر الاب ﴿فرنسيس فرّا﴾ الحلبي نشر في مطبعة القدس تآليف دينيّة حسنة كالروضة الروحية وتعريب فصيح للاقتداء بالمسيح وغير ذلك

وفي ٢ نيسان من العام المقبل ١٩١٨ مُنيت ايضاً رسالتنا بوفاة احد عملتها النشيطين انواسعي الفضل الاب ﴿لويس رنّوفال﴾ مات في رومية بعد نفيهِ من سورية بسبب الحرب. أدّى للعلوم الشرقية خدماً جمّة بالتعليم والتآليف في فنون مختلفة. وقد تولّى ادارة مجموعة مكتبتنا الشرقي. لهُ فيها عدّة آثار لغويّة وفنيّة وقد نشر في المشرق رسالة الدكتور مشاقة في الموسيقى العربية ثمّ نقلها الى الافرنسية وذيّلها بالحواشي. وقد كتب في ابحاث متعدّدة عن اللغات اليونانية والتركية في مجلّة باريس الاسيويّة ونشر رسالة من كتب الدروز مع الاب يوسف خليل ولهُ في المشرق عدّة مقالات فلسفيّة وتاريخيّة وادبية

فترى انّ طلبة الاكليروس وكهنة الطوائف الشرقية والرسلين كانوا ماشين مع المواطنين في مصافّ جيش الآداب ناشرين لواء العلوم والمعارف

ادباء النصارى اللاتينيون

نقدّم عليهم بعض الذين فاتنا ذكرهم في الحقبة الاولى تتمّة للفائدة. منهم الاديب المرحوم ﴿حبيب انطون السلموني﴾ المولود في بيروت سنة ١٨٦٠ تلقّى

العلوم في مدرسة الروم الكاثوليك. وفي كلية القديس يوسف ثمّ هاجر الى اوربّة وساح في جهات العجم والهند ثمّ استقرّ في لندن وتعيّن كاستاذ العربية في جامعتها وصار عضوًا في جمعيتها الملكيّة الشرقية وطبع هناك معجماً انكليزيًا عربيًا. كانت وفاتهُ في ٢٣ ت ٢ ١٩٠٤

ومنّن ترجمهُ الاستاذُ عيسى افندي اسكندر المعلوف في كتابهِ دوانى القطوف (ص ٦١٠ــ٦٢٤) الدكتور ﴿ اسكندر باك رزق الله ﴾ الطبيب الشهير المولود في المحيدثة (المتن) في ١٢ شباط ١٨٦٠ والمتوفى في بيروت في ٧ ك ١ ١٩٠٥ درس اللغة والادب في بيروت وتلقى العلوم الطبية في القصر العيني في مصر ثم في فرنسة وتعيّن في الثغر طبيباً لمستشفى القديس جاورجيوس فجرى في تنظيمهِ على نمط المستشفيات الاوربية العصريّة . وكان المذكور احد المولعين بدرس العربية وفنونها فأقيم قبل انقطاعهِ للطبابة استاذًا لها في المدرسة السورية ورئيساً لقلم التحريرات العربية في ديوان الروم البطريركي ونظم القصائد والاغاني الغنائية والمقطّعات وسكن مدّةً مصر ورفع الى الخديوي اسماعيل باشا قصيدة بليغةً أعجب بذكاء ناظمها واراد ان يثيبهُ عنها بمبلغ من المال فأبى قبولهُ بلطف قائلًا: «انا يا مولانا طالب علم لا طالب مال» وكان ذلك سبباً لدخولهِ في مدرسة القصر العيني قبل رحلتهِ الى فرنسة. ومدح ناظر المعارف في مصر علي ابراهيم باشا وهنأه بالعيد بقصيدة غرّاء اوّلها

دعِ الشيبَ بالنادات واعتزلِ ذكرَ النوافي وجانبْ جانبَ النزلِ

وختمهُ بهذا التاريخ :

ختامُ ما احسنتْ قولًا نؤرخهُ أنعيدُ يطرِ بأنوارِ الخليل علي (١٢٨١ه)

وللدكتور رزق الله رسالات بليغة متنّقة ومقالات عديدة منها طبية ومنها ادبية في المجلّات الوطنية والاجنبية في كلتا اللغتين العربية والافرنسية. وقد جُمعت اقوال الجرائد او مراثي الشعراء في مدحهِ بعد موته في كرّاسةٍ عنوانها نوح الحمام صدّرها الشاعر المجيد الياس افندي الحنيكاتي بهذين البيتين تحت رسمهِ:

قالوا اطلتَ من التأسف والبكا هل ذا النطاسي عادمُ الاشباهِ

فاجبتُهم ما كلُّ رزقٍ في الملا يبكى عليهِ نظيرَ رزقِ اللهِ

وفي ١٦ آب من السنة ١٩٠٦ فقد الادب احد الشعراء الوطنيين سليل عائلة الشدياق ﴿بشاره الشدياق﴾ كان ابن اخي احمد فارس الشدياق صاحب الجوائب ونشر في جريدة عمه فصولاً شائقة . وكان المذكور عريقاً في دينه له في جريدة البشير مقالات دينية وادبية . ومن آثاره ديوان شعر مخطوط نصونهُ في مكتبتنا الشرقية جمعهُ سنة ١٨٨٨ . دونك مثالاً من نظمه قاله في وصف الحسود :

انَّ الحَسود مدى الايام يفُتُ مَنْ نال السعادةَ حتى منتهى الابدِ
وكلّ داء لهُ طبٌّ يصحُّ بهِ اما الحسود فلا يشفى من الحَسَدِ
داء خبيثٌ تُرَى ماذا يؤمِّلُهُ ذاك الشيمُ سوى الاكدار والكمدِ
فبئسَ حاسدُ توفيقٍ بلا أملٍ يموت من جهلهِ بالذلّ والحقدِ

ومن قولهِ في رثاء المطران طوبيا عون رئيس اساقفة بيروت :

قد كان طوبيًا ذا برٍّ وذا عملٍ سامٍ وفضلٍ لهُ في الناس مشهودِ
كم بات يرعى خرافًا ظلَّ يرشدها الى حقيقةِ ايمانٍ وتسديدِ
نَعَمْ وقد كان عونًا للانام ومَنْ قد أمَّهُ نال من فضلٍ وتأييدِ
فهو لعمري الذي كانت شمائلهُ م الغرَّاء شائقةً في السهل واليدِ
بكَتْهُ بيروت حزنًا والدموع على فقدانهِ عَندَمٌ من قلب صيخودِ
قد مات في جمة الآلام وا أسفي بفقدهِ قد حُرِمْنا بهجة العيدِ
ضاقت بنا الارض من غمٍّ ومن كدرٍ ومن مُصابٍ ومن نحبٍ وتنهيدِ
هيهاتُ يُطفى لهيبٌ او يحولُ بكا ما دام آماقُنا تَرْحى بتسديدِ

وفي السنة التالية ١٩٠٧ وقعت وفاة ابن عم بشارة ﴿سليم الشدياق﴾ كانت وفاته في سان ريمو . اخذ سليم الآداب عن ابيهِ ثمَّ صار يُساعدهُ في تحرير الجوائب في الاستانة له فيها عدَّة مقالات . وعُني بنشر بعض تآليفهِ

وفي ٢٠ ايار من السنة ١٩٠٦ توفي في بيروت عن ثمانين عاماً الرياضي والطبيعي المعلم ﴿اسعد الشدودي﴾ . كان مولدهُ في عاليه سنة ١٨٢٦ ودرس في مدرسة لعبيه فنبغ في العلوم الرياضيَّة بين تلامذتها ثمَّ دُعي بعد انتهائهِ من درسها الى تعليمها في عدَّة مدارس ثمَّ في الكلية الاميركية سنة ١٨٦٧ ونشر سنة ١٨٧٣ كتابهُ العروسة

البديعة في علم الطبيعة . وكان يُحسن الكتابة ويجيد الانشاء دون تكلّف . ولهُ شعر رائق تفنن فيهِ منهُ حكمي ومنهُ هزلي . ولدينا ارجوزتهُ التي نظم بها امثال سليمان الحكيم نظماً سهلاً قريب المأخذ دونك مثالاً منهُ :

خافةُ التدبيرِ رأسُ الحكمةِ فمن حواها حازَ كلَّ نعمةِ
بالحكمةِ الجهّالُ تستبينُ لكن بها الحكيمُ يستبينُ
يا ابنِ اذا اغراكَ اهلُ الشرِّ للشرِّ في طريقهم لا تجرِ

ومنها وصف الحكمة عن لسانها :

لي الرأيُ لي الشورى انا الفهمُ الذكي ولي القوى ولي قديمُ المَسلكِ
بي يملكُ الملوك والولاةُ وفي القضاء تعدلُ القُضاةُ
قد كنتُ منذ البدء تُنيَةَ العلي مُسِحتُ في القديمِ منذ الازلِ

وفي السنة ١٩٠٧ في غرّة شباط توفي المرحوم ﴿سليم الياس كنّاب﴾ ابصر النور في دمشق سنة ١٨٤١ تعلم في مدرسة طائفته الاورثذكسية فاخذ عن احد مشاهيرها الخوري يوسف الحدّاد ثمَّ انتدبهُ المرسلون الانكليز والاميركان الى التعليم في مدارسهم في جهات لبنان وهو الذي انشأ في بيروت المدرسة الوطنية الاورثذكسية . ثمَّ طلبت اليهِ السيدة مسّ طومسن التي قدمت الى سورية بعد السنة ١٨٦٠ ان يقلدها العربية ثمَّ يساعدها في مشروعها التي حاولتهُ وهو تأسيس مدارس سوريّة انكليزيّة في انحاء سورية فوجدت فيه خيرَ استاذ ومساعد وبقي في خدمة تلك السيدة وتولى نظارة المدارس المختلفة التي انشأتها . وكان ينصبُ في الوقت عينه على المطالعة والتأليف فنشر كتاب الدرّة الفريدة في الدروس المفيدة في قسمين وكتاب قلادة النحر في غرائب البرّ والبحر . واشترك مع الاديب جرجس همّام في تأليف كتاب الكنوز الابريزيّة في اللغتين العربية والانكليزية ولهُ مقالات اخرى وخُطَب دينية ورسائل شتى

وفي السنة التالية في ٦ ت١ ١٩٠٧ نُعي الينا احد رجال الفضل والادب المعلم ﴿حنّا عوراً﴾ المولود في عكا في ٢٩ حزيران ١٨٣١ . كان المذكور وقف نفسهُ على خدمة الحكومة العثمانيّة فعُهدت اليهِ اعمال تولّى تدبيرها بكل امانة ونشاط

كمديرية التحريرات ووظيفة مميز لقلم المكتوبي ومراقبة المطبوعات واشتغل بنظام جبل لبنان بعد حوادث السنة الستين . وقد دخل اولادهُ في خدمة الدولة على مثاله فاستحقُّوا معهُ شكر اربابها

وتوفي فجأة في بيروت في ٢٨ ك ٢ من السنة ١٩٠٨ اللبناني الاديب ﴿فارس بك شقير﴾ كان تهذَّب بالعلوم العصريَّة وتولى في لبنان مأموريات شتى منها منصب القائمقامية في الكورة وكان شاعرًا وكاتباً نُشرت لهُ آثار حسنة من قلمه في الصحائف الوطنية . وهو اخو شاكر شقير السابق ذكره

وبعد اعلان الدستور العثماني بزمن قليل ودَّع الحياة احد اساتذة الكلية الاميركية الدكتور ﴿يوحنا ورتبات﴾ في ٢٢ ت٢ ١٩٠٨ عن ثمانين عاماً . كان اصلهُ من الارمن فنزحت عائلتهُ الى سوريَّة ودانت بالمذهب البروتستاني . وكان مولد يوحنَّا في حلب سنة ١٨٢٧ ثم دخل في خدمة المرسلين الاميركان فتعلَّم وعلَّم في مدارسهم ثمَّ دفعوه الى درس الطبّ وارسلوهُ الى انكلترة والى اميركة فساتقن فيها العلوم الطبية والجراحيَّة وتعاطاها ودرَّسها وألف فيها التآليف الواسعة كحفظ الصحة والفيسيولوجيا ومبادئ التشريح واصول التشريح . وقد نشر في المقتطف والمقتبس مقالات عديدة وكتَبَ في الانكليزيَّة عن اديان سوريَّة ونشر مع ابنه قاموساً انكليزيًّا عربيًّا ومع الدكتور بورتر قاموساً عربيًّا انكليزيًّا . وكان الدكتور ورتبات درس العربية على الشيخ ناصيف اليازجي فاتقنها وبها علَّم طلبتهُ الى السنة ١٨٨٦ حيث غيَّرت المدرسة الاميركيَّة خطَّتها في لغة التدريس فجعلتها الانكليزية عوضاً عن العربية فاستعفى الدكتوران ورتبات وفان ديك ولازما بيتهما

في غرَّة حزيران من السنة ١٩١٠ فقدت مجلَّة المقتطف احد اركانها الثلثة الذين باشروا انشاءها في بيروت سنة ١٨٧٦ اعني به ﴿شاهين مكاريوس﴾ ولد في جبات مرج عيون سنة ١٨٥٢ وتعلَّم فيها مبادئ القراءة والكتابة ثمَّ دخل كعامل في مطبعة الوطن في بيروت وثابر على المطالعة وتمرَّن على الكتابة ونَظَم الشعر فبرع فيها ثمَّ انقطع مع زميليهِ يعقوب صرُّوف وفارس نمر الى خدمة مجلَّة المقتطف فادَّى لها باجتهادهِ وثباته اجلّ الخدم ونشر فيها مقالات مختلفة . وقد أولع المذكور بخدمة الماسونية حتى اصبح احد اقطابها في سورية ومصر وقد بيَّنَّا في كتابنا «السرّ المصون

في شيعة الفرمسون» ما ألفهُ فيها من التآليف المتعددة مبرهناً على قرأنه راجياً ان يبيّض الحبشيُّ ويزكي ابناء الارملة مما تقرّر عنهم في كافة البلاد بخصوص مناهضة الاديان ونفخ روح الثورة

(الهُ بقية)

مؤتمر بيروت الاثري

(٨–١٧ نيسان ١٩٢٦)

لاحد شهود حفلاته

نالت بيروت في القسم الاوّل من شهر نيسان الماضي فخرًا لم تحظَ بهِ سابقاً اذ وقع عليها اختيار الاثريين ليجعلوها منتدى لمؤتمرهم الدولي بايعاز مفوّض الانتداب السامي المسيو دي جوفنل. فاخذت لجنةٌ خاصّة تُعدّ لذلك كل لوازم الاجتماع منذ اوائل السنة وانتشرت بهِ الاعلانات الرسميَّة حتى اذا أسفر شهر نيسان اخذ العلماء الاثريون يتقاطرون الى عاصمة لبنان من انحاء اوربّة واميركة ومصر وفلسطين بينهم ممثلو الدول والجامعات الكبرى نخصُّ منهم بالذكر علماء المانية الذين لاوّل مرّة بعد الحرب توجّهت اليهم دعوة رسميَّة لمؤتمر دولي. فكانت بيروت مؤلّفة القلوب ورائدة السلام. فرحّبت لجنة الاستقبال بجميعهم وقد ناهز عددهم. المائتين وما عتّموا ان وجدوا في بيروت ما يرغبونهُ من طيب السكنى والضيافة مباشرةً منذ مساء يوم وصولهم في ٧ نيسان اذ اكرم المفوّض السامي مثوى المندوبين ودعاهم الى وليمة توفّرت فيها اسباب الهناء والانس وتبادلوا عبارات التودُّد والولاء.

افتتاح المؤتمر

كان افتتاح جلسات المؤتمر في اليوم الموعود في صباح الخميس ٨ نيسان الساعة العاشرة في دار الصنائع والفنون حيث أُعدّت قاعة واسعة الارجاء في صدرها مسرحٌ

عالٍ مزدان بالاقمشة الفاخرة والاعلام الفرنسوية . وكان على مدخل الدار فرقٌ من الجنود والحرس الفرنسويين والوطنيين يبرزهم المختلفة منهم مشاة ومنهم ممتطون الخيل شاهرون السيوف يحيُّون الداخلين . ولما ازفت الساعة وقدم المفوض السامي صدحت الموسيقى العسكرية بلحن المرسلياز واخذ الجنود سلامهُ فدخل القاعة وحيا الحضور ثمَّ تصدَّر على المسرح يحيط به حاكم لبنان وحاشيتهُ مع لجنة المؤتمر والنواب لتنظيمهِ . فقام رئيس اللجنة السيو فيرولو وقدَّم للمفوض السامي المندوبين للمؤتمر من قبل دولهم وجمعياتهم ذاكرًا رتبهم وجنسياتهم . ثمَّ قام السيو غابرييل مدير المؤتمر في فلسطين مصرحاً بما يتشارك بهِ البلدان في الشرف باستقبال المندوبين الكرام وتلاهما العميد السامي فرحَّب اولًا باعضاء المؤتمر وابدى سروره بما شاهدهُ من عدد المندوبين الوافر وسرَّ فضلهم مؤمِّلًا بانهم سيعاينون في سوريَّة بقايا الامم الجليلة التي تتابعت في ملك هذه الاقطار فأبقوا بعدهم آثارًا لم يطمسها الدهر وتنطق بها كل الاطلال التي سوف يعثرون بها في كل خطوة يخطونها في سياحاتهم وقد اجتهد الانتداب الفرنسوي ان يستخرج منها ما كان مطمورًا وارصد لذلك المبالغ الطائلة وسوف يواصل مساعيهُ في هذا العمل الجليل خدمةً للعلم وإحياء لآثار الاعصار الخالية

رجال المؤتمر

قد قيل انَّ الاعمال برجالها . ومن يطلع على اسماء الذين شرَّفوا مواطننا لحضور هذا المؤتمر يتحقَّق ما لحق مدينتنا بيروت من الفخر بحلولهم في ربوعنا . ويا ليتنا كنَّا نستطيع ان نعدِّدهم فردًا فردًا وما لكل منهم من الخدم الجليلة لعالم العلم والآثار . وحسبنا القول انهم كانوا يمثلون قريباً من خمسين دولة او جامعة علميَّة كبرى . ودونك بعض الذين عرفناهم شخصياً او اجتمعنا بهم في اثناء الحفلات التي حضرناها

واوَّلهم (الفرنسويون) الوافدون باسم المعاهد الاثريَّة الكبرى نخصُّ منهم بالذكر السيو دوسو رئيس وفد جمعية الكتابات والفنون الباريسية الذي خصَّ نفسهُ بدرس آثار سوريَّة عموماً وفينيقية خصوصاً فألَّف فيها التآليف الشائقة وكان بمعيَّته زميلهُ الفاضل السيو ميشون ناظر متحف الاثريَّات في باريس . ومنهم السيو كونتنو الذي قام مدَّة ثلث سنين باعمال حفريَّة جليلة في صيداء . والسيو البر غبريال الذي تعيَّن

مديراً لحفريات تدمر فاستخرج منها ما يحيي أملنا في إنعاش ذكر ملكتها العربية زينب وتعريف التمدن الراقي الذي بلغته تدمر في عهدها . ومن الفرنسويين المسيو كاميرو الوزير الفرنسي المفوض ولودس مندوب جامعة باريس . وألبرتيني مدير مصلحة العاديات في الجزائر . ولا يسعنا ان نضرب الصفح عن الراهبين الدومنيكيين الفاضلين الاب هابل احد اساتذة المعهد الاثري الفرنسوي في القدس الشريف والاب دورم مديره ذي الشهرة المستفيضة بعلم العاديات البابلية . وكانت المكتبة الفاتيكانية اوفدت ايضاً رجلاً افرنسياً من عمدة ناظريها المنسيور تيبيران منظم فهارسها الشرقية

وكان في مقدمة اعضاء المؤتمر الانكليزي المسيو غارستنغ المدير العام لمصالح العاديات ونظارة الحفريات التي تقوم بها الجمعيات العلمية في انحاء فلسطين . ومنهم الاستاذ برُكت ممثل جامعة كمبردج صاحب التآليف المعتبرة في السريانية وآثارها مع قرينته المصونة . والاستاذان كنّدي وبلدوين برّون ممثلا جامعة ادنبورغ . وكذلك ارسلت جمعية لندن الملكية الاسيوية وجامعات منشستر وليفربول واوكسفرد وعمدة متاحف بعض الجهات وفوداً يمثلونها في مؤتمرنا

واوفدت المانية اربعة من علمائها الاساتذة بنتيشنر الموكول اليه اعادة النظر في دليل بيديكر وبُوخردت الذي كان مقيماً في القاهرة وكورتيوس ممثل جامعة هيدلبرغ وهوروفتس ممثل جامعتي فرنكفورت والقدس ولكلهم المنشورات المعتبرة في الشرقيات

وارسلت بلجيكة احد كبار رجالها المسيو سپيلرس ممثلاً نظارة معارفها . كما ان سويسرة مثّلتها الآنستان فان برشم كريمتا ذاك الاثري الذي باشر مجموعة الكتابات الاثرية العربية فنشر منها قسماً حسناً ومات قبل اتمامه فخلفهُ في مصر العلامة غاستون ڤيات

وكان في مؤتمرنا عدد عديد من علماء اميركا فمثّلوا حواضرها وجامعاتها من نيويورك وفيلدلفية وشيكاغو وكاليفورنيا وميشيغان وكولمبيا وجامعة پرنستون وجامعة يول

امّا دول اوربة الشرقية فاتانا منها ممثلون لبولونيا وجامعتي فرسوڤيا وكراكوڤيا ثمّ للبلغار من صوفية ولأسوج من اوبسالا

وسُررنا بمشاهدة الاستاذ اسعد بك نصوحي حافظ العاديات الشرقية في متحف الاستانة . والاستاذين البارعين احمد زكي باشا كاتب اسرار مجلس النظّار في القاهرة وطه حسين مندوب جامعة مصر مع قرينته الكريمة . ومثّل حضرة الخوري لويس ملحه الجمعيّة الاثرية في الاسكندرية

امّا الكليتان البيروتيّتان فكان يمثل الجامعة الاميركية رئيسُها الفاضل المستر ضودج واستاذها الوطني الاديب اسد افندي رستم . ومثل كلية القديس يوسف الآباء رينه موتردكفشليار مدرسة الحقوق الافرنسية في الثغر وحضرة الاساتذة لامنس وبرادبار وشيخو

فوجود محفل علمي مثل هذا في بيروت سيكون لهُ وقعٌ بعيد يتردَّد صداهُ في انحاء العالم الاثري

الحفلات العلميّة

غاية المؤتمرات ان يجتمع العلماء في احدى المدن فيتباحثون في العلوم التي تخصّصوا بدرسها فتتمُّ الفائدة باحتكاك اذهان رجالٍ كبار مختلفي الاصل والجنس فيفيدون ويستفيدون ويُبرزون بابحاثهم حقائق علميّة جديدة لأنّ الحقيقة كما قيل بنت البحث وكثيرًا ما يُحجب نورها ريثما تتجلي بسطوع انوار متعدّدة

وفي الايام التسعة التي قضاها المؤتمرون في ربوعنا خصُّوا الثُلث منها للمحاضرات العلمية التي قام بها بعض اعضاء المؤتمر فاثنوا على اصحابها ولعلّها تُجمع وتُنشر في مجموعة خاصّة لتُمثّل للطبع

وقد كانت أُعدّت محاضرات جمة الّا انّ قصر الوقت لجلسات المؤتمر لم يسمح بالقاء كثير منها . ومن افضلها محاضرة المسيو دوسو في آثار جبيل فانّه ذكر خلاصة تاريخها وما اوقفنا عليه خصوصاً الحفريّات التي قام بها الاثريُّ الكبير المسيو مونتيه فتتبّعها ووصفها وبيّن عظم شأنها وكان احسن دليل لحفريّاتها لمّا سار المؤتمرون يوم السبت في ١٠ نيسان لزيارتها مع المسيو دينان خلف المسيو مونته الذي نال من فضل المفوّض السامي ان تُنقض البيوت الحديثة التي بُنيت فوقها فيعوّض على اصحابها . واخذ يكشف عن آثار هيكلها المصري القديم وعادياتها الفينيقية الجليلة المطمورة

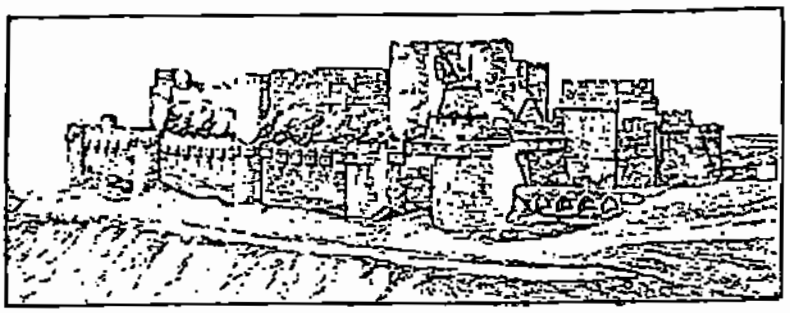

قلعة الحصن في حالتها الحاضرة

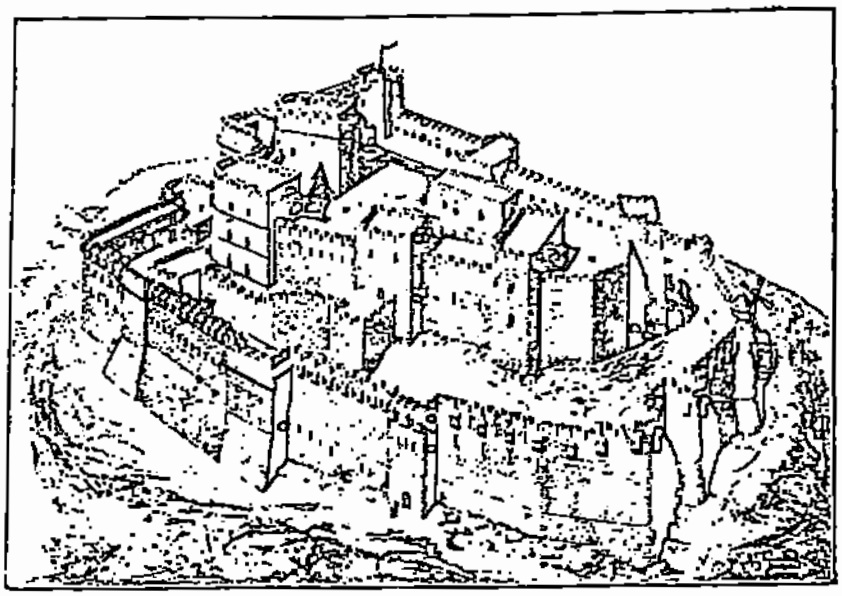

قلعة الحصن وابنيتها القديمة

هناك منذ اربعة آلاف سنة بنيف

ومن المحاضرات التي أُلقيت في المؤتمر مما يحقّ علينا ذكرهُ ما رواهُ حضرة الاب الدومنيكيّ عن حلب وتاريخها في القرن التاسع عشر قبل المسيح استنادًا الى الآثار الاشوريّة. ومنها محاضرة اسعد بـك نصوحي عن العاديّات الشرقية التي دخلت في متحف الاستانة منذ عهد قريب مع عرض صُوَرها على النور ومنها ايضاً محاضرتان للاثريّين داي وغيغ (Day et Guigues) عن العاديّات الظرّانيّة الراقية الى الازمنة السابقة للتاريخ

ومن المحاضرات المستحسنة مقالة للسيو ديشان (M. Deschamps) في قلعة الحصن (Krak des Chevaliers). ومحاضرة جناب احمد زكي باشا عن الاثقال الزجاجيّة التي في متحف دمشق فزعم رئيس المجمع العلمي هناك انّها كانت نقودًا وهي حقيقةً عيارات لوزن النقود

وتكلّم الاستاذ بورخردت (Borchardt) عن الآثار المصريّة الحرفيّة القديمة وافاض الكلام عن نقوش مدافن الفراعنة في عهد سلالات المملكة المصريّة الوسطى. وبحث السيو سالّ (Salles) من باريس عن العلاقة بين نقوش الشرق الاقصى وآثار الشرق الاسلامي في القرون الوسطى. واثبت مندوب صوفيا تأثير الصناعة العجميّة في القرن التاسع في الصناعة البلغاريّة. وتباحث العالمان سبيلرس ودوسّان (Speleers et Dossin) في الآثار الحثّيّة والاشوريّة. ونَظَر الاب لامنس في مسألة الشيعيّين الذين اتى بهم معاوية الى الشام فأثبت انهم ليسوا اجداد الشيعيين المستوطنين اليوم في انحاء سوريّة. وعرض الاب موترد نتيجة شطط مع الاب جلابرت في جمع الكتابات اليونانيّة النصرانيّة القديمة في جهات سورية. وكان مدار محاضرة الاب پوادبارت (P. Poidebart) على ما تحقّقهُ من آثار الطرق القديمة بين نهري دجلة والفرات. امّا الاب لويس شيخو فألقى محاضرتهُ في كلية القديس يوسف في احدى قاعاتها الكبرى حيث عرض بعض مخطوطات المكتبة الشرقية التي جمعها منذ نحوِ خمس واربعين سنة كالمخطوطات المصوّرة بالتصاوير البديعة الاسلاميّة والنصرانيّة والمخطوطات المحلّاة بالنقوش الملوّنة الراهية والمخطوطات التي على رقّ او على ورق جميل والمخطوطات المجلّدة تجليدًا قديماً ذا اشكال مختلفة رائعة

والمخطوطات النادرة اوجود او المكتوبة بخطوط قديمة وبلغات شتى يونانية وسريانية وفارسيَّة وكلدانية وحبشية وارمنية

ولعلَّ هذه المحاضرات المتباينة كان الاوفق ان تُجعل لها معاهد مختلفة تقسَّم بموجب مواضيعها كما يجري عادةً في المؤتمرات فكان هذا سمح لخطباء غير السابق ذكرهم ان يتكلموا في ما اعدُّوه من الابحاث التي بقيت مطويَّة في محفظتهم كمحاضرة للسير ميشون وغيره

الدَّعوات الأهليَّة

وقد أحبَّت المفوضية العليا واصحاب الفضل من اهل بيروت ان يظهروا للمؤتمرين اعتبارهم لاشخاصهم بدعوتهم الى مآدب خاصَّة. فكان السبق في ذلك لعميد الانتداب الذي دعا مندوبي المؤتمر الى قصره في الصنوبر فأولم لهم الولائم الفاخرة واعقبها بعَرْض تصاوير آثار سوريَّة ومدنها وتحفها ممَّا ارسلهُ لهذه الغاية السير البرت كاهن (Al. Kahn) فكان منظرُها مكبرةً بالنور الكهربائي مع الوانها الاصليَّة يأخذ بمجامع القلب

وفي عصر اوَّل يوم المؤتمر دعت صاحبة الفضل والنبل مدام الفرد سرسق جميع اعضاء المؤتمر وعددًا كبيرًا من اعضاء رجال الحكومتين واعيان البلاد الى مأدبة شاي اقامتها في دارها العامرة. وكأنها ارادت ان تحيي ذكرى قرينها المرحوم الذي كان من انصار ترقية الوطن والعاملين في جمع آثاره الفنيَّة. ومن حسن لطفها انَّها دعت بعض الحورنيين المنكوبين ودفعت لهم مبلغاً وافرًا ليمثلوا امام المؤتمرين رقص آل حوران وفنون العابهم فسُرَّ الحضور بذلك ايَّ سرور

وفي مساء الخميس ١٥ نيسان قدَّم الوطني الوجيه جاك بك ثابت وليمةً لسائر المؤتمرين فاستقبلهم في داره العامرة الساطعة بالانوار والمزدانة بالاعلام فقضوا عندهُ ساعات ملؤها السرور والهناء

وكانت دعوة الوداع في عصر اليوم التالي في دار حاكم لبنان

سياحات المؤتمرين

انَّ القسم الاوفر من ايام المؤتمر الاثري قد خُصَّ بالسياحات الشائقة التي اجراها

المؤتمرون في جهات لبنان وانحاء الشام. وتسهيلاً لقضائها وتقريباً لفائدتها كان قسم المؤتمرون الى قسمين القسم الفرنسويّ اللغة والقسم الانكليزي اللهجة. فدونك خلاصة هذه السياحات

توقّل المؤتمرون في مساء ٩ نيسان اعالي لبنان لزيارة دير القامة وهيكلها الروماني المبني على ذكر المشتري البعلبكي والاله السوري بعل مرقد. وعند رجوعهم بالسيارات انفصل القسم الفرنسوي وكنّا من جملتهم فقصدنا طرابلس على السيّارات قاطعين الطريق الجديدة المؤدية اليها وهي التي فتح قسماً منها الجنرال غورو عند أنفه على الساحل الصخريّ الواقع تحت رأس الشقمة فوصلنا الى طرابلس مارّين بين بساتينها التي تعشّقها ريونسد سان جيل اميرا الصليبيّ لما وجده فيها من الاشجار المثمرة والروائح العطرة والمناظر البهجة فكان قصره يشرف على المدينة وهو محصّن بالاستحكامات المنيعة. على أنّنا لم نجد له اثراً وانّما اقيم في مكانه حصن احدث بعده ودونه صناعةً لا يُرجّح يحمي مدخله ولا دعائم تسنده الّا انّ العين تكشف منه على مناظر فتّانة دعت المسيو هنري بوردو الى وصفها في روايته «جميلة تحت الارز». أمّا مبنى طرابلس فهو بقيّة من العهد الفينيقي

وفي ضحى اليوم التالي طارت بنا السيارات الى جبال العلويين فزرنا قامة الحصن وابنيتها الهيبة القائمة على قمة جبل لا يُرتقى الى مدخلها الّا من جهة الجنوب حيث كان الصليبيون شيّدوا استحكامات لا يقوى عليها عدوّ فزرنا كل جهاتها وجميع ابنيتها وتحصيناتها ومعبدها وكل ذلك من آثار فرسانها المعروفين بفرسان يوحنّا المدعوين — عرب بالاستبار (S^t Jean de l'Hôpital) نرسم هنا صورتيها القديمة والحاضرة (١).

وبعد ان سرّحنا الانظار في تلك الابنية الجبّارية نقلتنا السيّارات بسرعتها الحثيثة الى حمص فتغدينا هناك وشاء بعض المؤتمرين ان يرتقوا الى قلعتها الراقية الى عهد الحثيين ويعاينوا بعض آثارها (٢) ويحقّقوا انّ جوانبها بُنيت بالآجرّ كتلّ منذو المعروف قديماً برادش (Radech)

---

١) انظر المشرق (٢٢ [١٩٢٤] : ٤٨٨-٤٩٣) وهناك مقالة وافية في الدولة العلوية وآثارها

٢) راجع في المشرق (١ [١٨٩٨] : ٧٦٦-٧٧٨) مقالة ضافية في آثار حمص

ثمَّ واصلنا السير مارّين بالطريق العربية التي تقطعها السيارات السافرة الى بغداد بين القرى ذات البيوت المكعَّبة البيضاء او المخروطة المحدقة بالاشجار والمزروعات مع آبارها العمومية حتى بلغنا فركلس . ثمَّ مررنا في عنان حيث جرت وقائع عديدة بين المهاريين والعصابات الثائرة ثم دخلنا بين ذينك الجبلين المعروفين بالجبل الابيض شمالًا والجبل الاسود شرقاً فافضى بنا المسير بعد ٨٠ كيلومترًا الى المضيق الذي يُنفَذ منهُ الى تدمر . وكانت طريقنا في هذه الأيام الربيعيَّة مكسوَّة بالخضرة بما ينبت فيها من ضروب النباتات التي ترعاها الابل . وكان آخر ما قطعناهُ سهلًا واسعاً في اوَّلهِ بناء مربَّع في وسطهِ حوضٌ تجري اليهِ المياه فتلك عين البيضاء بينها وبين تدمر مسير سبع ساعات للابل امَّا نحن فنقلتنا سيَّاراتنا في طريقها ليلًا في صمت البراري المقفرة حتى بلغنا حاضرة زينب الساعة الثامنة مساء ولم نشاهد من آثارها غير مدافنها ذات الابراج العالية

فما لاح فجر اليوم الثاني حتى قمنا نتجوَّل في تلك المدينة الشهيرة البالغة في عهد زينب اوج عزّها . واوَّل ما استوقف نظرنا هيكل البعل المبني على ربوة يحدق بهِ حرمٌ فخمٌ تقيس جوانبهُ ٢٣٠ مترًا وتتقدَّمهُ الاعمدة الضخمة واليهِ يفضي ذاك الرواق الملكي الممتدّ على مسافة تزيد على الكيلومتر من شمالهِ الغربي الى جنوبهِ الشرقي . فكانت كل حركة بمدينة زينب تزدحم حول هذه الابنية . امَّا المدينة العربية الحديثة فانَّها متراكمة في واحةٍ جنوبيّ البلد . وهناك ايضاً بقايا من المدينة التي شيَّدها اوريليانوس لدى فتحهِ تدمر وسوَّرها بعدهُ يوستنيان لكنها احرج واضيق تمتدّ شمالًا وغرباً عند التلال القائمة بقربها . وكان الالمان في ايام الحرب قاموا بحفريَّات اظهرت لهم احياء المدينة وشوارعها المتقاطعة على خطٍّ مستقيم وتابع عملهم سنة ١٩٢٥ المهندسان الفرنسويَّان غبريال وانغهولت (A.Gabriel et H. Ingholt) فكنا ننتقل من اثر الى آخر فنقضي العجب حيناً بمشاهدة ساحة البلد العمومية وحيناً بنظر فخامة قوس الظفر وتارة بفحص هندسة هيكل بعل شمين ولاسيما عجائب هيكل البعل الاعظم وما في انحاء المدينة من المدافن والدمى والكتابات ومعظمها يرقى الى العهد الروماني في زمن السلالتين الانطونية والسورية . وكان المسيو روسو اعدَّ للمؤتمرين دليلًا يوقفهم على كلّ متاحف تدمر ولسوء الحظّ نسيهُ الخادم فلم يوزَّع عليهم الَّا في آخر ساعة

وكان بودّنا ان نقضي في تدمر اياماً لاستقراء آثارها العديدة إلّا ان قصر الوقت اضطرّنا الى تكملة سياحتنا بعد شكرنا للضبّاط الذين يرابطون هناك فعدنا ادراجنا وخصصنا يوماً لزيارة بعلبك وآثارها وهياكلها العظيمة مع هيكلها الصغير الذي يزعم الاستاذ تيرش (Tiersch) انهُ كان مبنيّاً على ذكر الاله باخوس فخالفهُ الاب رنڤال واثبت انهُ بُني لاكرام الاله اترغاتس ثالث آلهة بعلبك

ورجع المؤتمرون الى بيروت شاكرين لارباب الامر لطفهم لما وفّروهُ في جانبهم من اسباب الراحة والهناء في هذه السياحات من حيث المبيت والمعاش والرفاهية. وكان ضبّاط التعليمات يرافقوننا في طريقنا ويشرحون لنا في كل مقامة ما يُرى فيها من الآثار. وقد عُقدت في آخر يوم المؤتمر جلساتهُ الاخيرة فحضرناها وفي صباح اليوم السابع عشر ودّعنا رصفاءنا الذين دعاهم جناب السيد الاريحي يوسف بك الزين الى مأدبة فاخرة في بساتينهِ الغنّاء في صيدا. وقبل ان يفترقوا الى فلسطين ارسلوا نبأ برقيًّا الى المفوّض السامي يكرّرون شكرهم لما وجدوهُ في مؤتمر بيروت من اللذّة والمنفعة معاً. وقد أعلن المسيو البرتيني مندوب الجزائر انَّ المؤتمر الاثري التابع لمؤتمر بيروت سيُعقَد سنة ١٩٣٠ في الجزائر

مطبوعات شرقية جديدة

Bapst (Edouard) : La vie historique de N-S. Jésus-Christ. 2 *vols. in*-8°,-1924, *Paris, A, Lahure. Prix* 10+10*f*

سيرة السيد المسيح التاريخية

اطّلعنا بكامل الرغبة على هذه السيرة الجديدة للسيد المسيح التي كتبها رجل علماني عرفت فرنسة قدرهُ فاقامتهُ سفيراً لها في الاستانة بضع سنين. ولم تكن اشتغالهُ السياسيَّة لتصرفهُ عن التعمُّق في دينهِ وها هو قد وضع هذا الكتاب وغايتهُ من وضعهِ أنْ يبيّن خصوصاً كل اعمال ابن الله من حيث صحّتها التاريخيَّة. والحقّ يُقال انه ادرك تلك الغاية الشريفة وجاء كتابه اهلًا بان يُنظم في جملة احسن السير المطبوعة سابقاً لمشاهير الكتبة كفيليون وفوار واوكامو وديدون وغيرهم ج. ل

RITUALE ROMANUM, n° 75, Editio 2ª post typicam. in-12, Tours, Mame, 1925

كتاب رُتَب الكنيسة الرومانية

هذه طبعة ثانية لهذا الكتاب الكنائسي جعلتهُ الطبّاع الشهير «مام» في طور طرفةً مطبعية تأخذ بالبصر بقطعه وحسن صورته وحروفه وتنظيمه فاستحقّ عملهُ ثناء كل عارفيه ج. لوفنك

Lippert (Peter s. j.) : VON SEELE ZU SEELE. Briefe an gute Menschen, 17te *bis* 19te *Auflage*, *in*-12, *pp.* VI-272, *Freiburg i, Br.*, 1924, *Herder*

مراسلات من نفس الى نفس

هذا الكتاب اللطيف لحضرة الاب ليبرت اليسوعي يحتوي انجاناً في السيرة الروحية على صورة رسائل روحا هو قد بلغ في اشهر قليلة ١٢ الفاً من نُسَخهِ. ولا شكّ انّ رواجاً مثل هذا لا يمكن تعليلهُ بغير قيمة الكتاب. والحقّ يقال ان الاب ليبرت قد تعمّق في درس النفوس الكاثوليكيّة العصرية فادرك نزعاتها وما تجدهُ من المشاكل في سبيلها فهو يسعى الى إثارتها ويحثّ على ضعفها ويشدّد عزائمها بما يظهر لها من عواطف الحبّ فيهدّد عقباتها ويبعث ارادتها الصالحة. وهذا بلا مراء فضل كبير يُضاف اليهِ انسجامُ في كتابة المؤلف البليغة الرائقة حتى ان احد ارباب الانتقاد في المانية قال عن هذه المراسلات انّها في زماننا تقوم مقام رسائل القديس فرنسيس سالیزیوس في عهده. فانّ لغتها محكمة تضطرّ الكتبة الى ان ينظموها بين الكتب البليغة الانشاء. كما نظموا كتاب «فيلوثاوس» القديس المذكور بين اجود كتب الآداب الافرنسية. فهذا لعمري احسن ثناء لمختلف كهذا الاب ي. ديلانيفر

Richter (P. Andreas) : EXHORTEN FUER ORDENSJUNGFRAUEN anschliessend an die Sonn : u. Festtagsevangelien. 2 *Aufl., mit Stahlstich-titelbild u. 16 ganzseitigen Textillustrationen*, 1152 *SS.*, *Benziger et Cie G. A. Strasbourg (Alsace)*

ارشادات تقوية للراهبات

غاية مؤلف هذا الكتاب ارشاد العذارى المكرّسات لله في الرهبنة بين مشقّات حياتهنّ. وقد اصاب المرمى. لا بل ستفيد هذه الارشادات ما عدا الراهبات الكهنة والمرشدين القائمين بخدمتهنّ فيجدون فيها فصوص الاناجيل التي تُقرأ ايام الآحاد

والاعياد مفسَّرة تفسيراً واضحاً مُغذياً يُشعر بروح كاتبها الذي اختبر بنفسه كل احوال العيشة الرهبانية عذوبتها ومحنها عظمتها وفرائضها وادرك ما هناك من المشاكل التي تعيق النفس في سيرها مع الوسائط للنجاة منها. وهو في كل كلامه يُعرب عن قلب رقيق ومنشط بتحوبله النفوس الى ذاك القلب الابي مشبع كل التعزيات فاننا لا نشك انَّ كل من يطالع هذه الارشادات ويتأملها سوف يترقى الى الكمال الرهباني ويحرز قداسته التي تدعو اليها المشورات الرهبانية. فانَّ فيها نوراً ساطعاً ودليلاً امينا

ي. د

A. S. Tritton: The rise of the Imams of San'aa, *in*-8°,1925, *Humphrey, Milford, Oxford, University Press*

النهضة الإمامية في صنعاء

اصل هذا الكتاب مخطوطٌ قديم لم يُطبع حتى الآن اضاف اليه متولي نشره فوائد أخرى استقاها من تآليف خطية من مكاتب انكلترة. وهو يتضمَّن اخبار الحروب التي وقعت بين الاتراك وائمة صنعاء الزيديين من اواسط القرن السادس عشر الى اواسط السابع عشر وانتهت بانتصار الإمامة الزيديَّة التي جعلت من ذكرها في صنعاء فاتخذتها كحاضرة دولتهم. ويلي تلك المعلومات فصلان يحتويان تفاصيل شائقة عن عيشة الائمة الزيديين الاجتماعية والدينية ثم عن لغة المخطوطات التي اخذ عنها ناشر الكتاب وعن انشائها مع جدول الالفاظ التي لا اثر لها في المعاجم اللغويَّة والشائعة في اليمن

الاب ه. لامنس

Th. Bauer: Die Ostkanaanaer. Eine philolog. histor. Untersuchung über die Wanderschicht der sogenannten « Amoriter » in Babylonien. *in*-4°, *VIII-94 pp., Leipzig, Verlag der Asia Major*, 1926

الكنعانيون الشرقيون او الاموريُّون

كان معظم المؤرخين والمستشرقين يَعنون باسم الاموريين عنصراً كبيراً من الامم اخذوا منذ الالف الثالث قبل المسيح يتقدَّمون تدريجاً من ساحل الشام الى ما بين النهرين حيث فتحوا في اوائل الالف المذكور بلاد بابل وانشأوا السلالة البابلية الاولى التي كان حمورابي الكبير ملكها السادس. وكان الاميركي «كلاي» الضليع بالمعارف

الاشوريّة بالغ في رأيه بهذا الصدد ولاسيما في تأليفَيْن من تآليفه(١ وزعم انّ الساميين الشماليين استوطنوا سوريّة وانهُ الى الاموريين يعود الفضل في التمدُّن الشومري البابلي ودينهِ . فضرب المؤلف الصفح عن هذه المبالغات وانما بقي مشكل تاريخي يستحقّ الاعتبار ولا غنى عن البحث فيهِ : ألا يصحّ القول بانّ اقدم الأموريين اصلهم من العرب وانّهم ازدادوا عددًا وقوّة حتى زحفوا على بلاد بابل وفتحوها ؟ . فهو البحث الذي خاض عُبابهُ مؤلف هذا الكتاب وقد قسم تأليفهُ الى قسمين لغوي وتاريخي والاوّل اكثرهما طولًا وعليهِ مبنى البحث فقد عمد الى الاعلام الأموريّة التي قسمها ثلاثة اقسام فبيّن انها مركّبة من تعابير مختصرة تامّة المعنى التي لا توافق اللغة الاكاديّة اي البابلية ولا اللغة العربية الجنوبية كما زعم هومل المرتأي بانّ الملك حمّوربي كان عربيّ الاصل بل يجب القول بانها تراكيب قريبة من اللغة الكنعانية اي العبرانيّة والفينيقية . ثم انتقل الى القسم الثاني من كتابهِ فأثبت ان الأموريين في اوّل تاريخهم كانوا جنوبي بابل وشرقيّها في انحاء نهر دجلة وانّهم من هناك وليس من البادية العربية الشامية ساروا لفتح بابل — ولا يسعنا في هذه الخلاصة ان نتتبّع ادلّة المؤلف وان كنّا نرجّح صحتها على اننا لا نقضي بتاتًا في حقيقتها . ويا ليت المؤلف كان بيّن اسباب العلاقة اللغويّة الموجودة بين هؤلاء الكنعانيين الشرقيين والكنعانيين الغربيين ودلّ على الاختلاف الموجود بين الأموريين المذكورين في مراسلات تلّ العمارنة المسماريّة المكتوبة في ذلك العهد اي ١٤٠٠ ق م وفي سفر التكوين (١٠ : ٢٦ الخ) وبين الاموريين الاقدمين مع بُعد المسافة بينهما . على انّ المؤلف في هذا البحث خطا خطوةً الى الامام ومن المنتظر انّ الحفريّات الجارية منذ امد قريب في سوريّة وفلسطين تُجدينا نورًا جديدًا لفضّ هذا المشكل س . ر

Rüsenwald (Karl): Praktische Erdkunde Uebungen u. Beobachtungen, 2° *Aufl.*, 1925, *Breslau, F. Hirt u. Sohn, Prix* 6 *M*, 50

تعريف الارض وما يتعلّق بها

ظهر هذا الكتاب قُبَيل الحرب سنة ١٩١٤ وهذه طبعتهُ الثانية وقد اصاب

---

١) ظهر تأليفهُ الاول سنة ١٩٠٩ تحت عنوان Amurru the Home of the northern Semiten والثاني اقرب عهدًا طُبع سنة ١٩١٩ عنوانهُ The Empire of the Amorites وقد مات مؤلفها حديثًا بعد ان حاول الدفاع عن رأيهِ ضدّ غارات خصومهِ دون ان يقنعهم

رواجاً عظيماً لفوائده العمليَّة الجمَّة فانَّهُ وُضع لفائدة دارسي الجغرافية فيشرح لهم كل ما يحتاجون الى معرفتهِ لإحراز علم الارض . ففيهِ معلومات طبيعية وفلكيـة وجيولوجية وفوتغرافية ترشدهم الى رسم الخوارط وضبط اوضاع البـلاد وخواصّ مواليدها من نبات وحيوان وبشر . وكل ذلك بفصول مدقَّقة تزينها التصاوير البديعة على احسن منوال

Bapst (Edouard): Le siège de metz en 1870, d'après les notes manuscrites laissées par Germain Bapst. *in*-8°,1926, *Paris, A. Lahure, Prix* 12 *f*°

حصار مدينة متس سنة ١٨٧٠

ورث المسيو ادوار بپسّت من اخيهِ جرمان وصف حصار الالمـان سنة ١٨٧٠ لمدينة متس . وهذا الكتاب كان اعدَّهُ للطبع تتمَّةً لتاريخه الشهير عن نابوليون الثالث الذي نشر منهُ ستة اجزاء احرزت لهُ فخراً كبيراً . فهذا الجزء الاخير هو مسك ختام ذاك التأليف بيّن فيهِ المؤلف اغـلاط المرشال بازين وسوء تدبيره الـذي كان سبب انتصار الالمان وفتح متس . والمؤلف يتحاشى كلّ حكم من نفسهِ ويبني سائر اخبارهِ على الآثار الصادقة

J. Sabatié: La représentation Commerciale, notions de psychologie professionnelle et appliquée à l'usage de tous les agents commerciaux, 3° éd. revue et corrigée, 1926, Paris, Dunot, Prix 17 f°, 50

الوساطة التجارية

هذا كتاب مفيد جدًّا لتجارنا الشرقيين فانَّهُ يحتوي كلّ المعلومات التي يحتـاج اليها المتوسّطون بين الزبائن والمحلَّات التجاريَّة الاجنبيَّة (الكومسيونجيَّة) فانّ لهذا الفن قوانين جمة ترشد من يتعاطاهُ الى ارباح وافرة . والمؤلف احد الذين اشتهروا بهِ في فرنسة فضمَّن هذا الكتاب معلوماتهِ الشخصيَّة وملحوظاتهِ التوالية . وقـد قسم كتابهُ الى قسم نظري وقسم عملي وكلاهما غاية في الدقَّة والمتعة . ج . ل

Engerend (Fernand): Lanrezac, in-12, 1926, Paris, Editions Bossard, Prix, 4 f°, 50

الجنرال لنرزاك

الجنرال الفرنسوي لنرزاك احد القوّاد الذين في عهد الحرب الكونية استحقوا

شكر وطنهم بحسن تدبيرهم فانهُ في شرلوا بتخليص جيشه من كمين الالمان ساعد على خلاص فرنسة لكنّ بعض خصومهِ أنّبوهُ واستحسنوا عزلهُ . وانما ثبتت بعد ذلك امانتهُ وحسن سلوكهِ وطلب الجنرال نوله ان يُثاب على خدمتهِ لوطنهِ فمُنح قبل وفاتهِ في ٦ ايلول ١٩٢٤ وسام لجنة الشرف . والكتاب المذكور آنفاً قد ألّفهُ المسيو انجران مندوب معاملة كلفادوس لايضاح تفاصيل هذه القضية والدفاع عن لزاك

ENTRAINEURS. Aux Lycéens Catholiques, par un ancien élève de Normale supérieure. *Vol. in-16, Marseille, Ed. Publiroc, rue Thiers, 53, Prix 3 f°*

قدوة المدارس الثانوية

انَّ عدداً من التلامذة الكاثوليكيين تضطرّهم الاحوال الى دخول المدارس اللادينية في فرنسة فهذا كتاب لواحدٍ منهم ألّفهُ ليصونهم من اخطار تلك المدارس التي اختبر شرّها وهو يصفها وصفاً دقيقاً ويقدّم لاولئك الطلبة الوسائط ليحترزوا من آفاتها ويصونوا نفوسهم من وبائها

Rezanov (Colonel A.): LE TRAVAIL SECRET DES AGENTS BOLCHEVISTES. Exposé d'après des documents authentiques émanant des Bolcheviks, *Paris, Ed. Bossard, Prix 9 f°*

دسائس العمال البولشفيين

هذا الكتاب كتأليف المسيو غوتزو الذي وصفناه في العدد السابق (ص ٣٤٠) اثبت فيهِ المؤلف وهو روسيّ الاصل دسائس العمّال البولشفيين الذين يبثّون خفيةً روح الشيوعيّة والثورة في اوربّة عموماً وفي فرنسة خصوصاً وهو يستند في بيان الامر الى ما اكتشفهُ من منشورات زعماء البولشفيين السرّية . فلا يبقى ريبٌ في نيّاتهم الخبيثة

G. Basset d'Auriac: ANNE BERTHIER. In-8, Marseille. Ed. Publiroc, Prix 5 f° 50

هذه روايةٌ تخيليّةٌ توافق بتماليها الادبية الاوانس وهي جامعة بين الفائدة واللذة

R. Métais: L'envrers de la bête. *Paris, E. Figuière, 1926, Prix 9 f°*

ليس تحت هذا الكتاب كبير امر فانَّ مؤلفهُ كتبهُ تحقيراً لبعض خصومهِ الذين اشار اليهم باسماء والقاب مختلفة

ج . ل

تأملات لاجل الاكليروس والعلمانيّين لكل ايام السنة

بقلم الخوري م. هامون وتعريب السيد غريغوريوس هبرا

الجزء الاول طبع في مطبعة القديس بولس في حريصا لبنان ١٩٢٦ (ص ٦٦٨)

الاب هامون راعي كنيسة سان سولبيس سابقاً في باريس من افاضل الكهنة الفرنسويين وكتبتهم المتازين وهو مؤلف سيرة القديس فرنسيس دي سال وتراجم اخرى لا يجهلها احد من الاكليريكيين. ومن تآليفه المستحسنة التي تكرَّر طبعها خمس عشرة مرَّة كتاب تأملاته السنويّة التي اتخذها الوف من ذوي الكهنوت كدستور حياتهم الروحية لوضوحها ووفرة موادّها وروح تقاها وطالما كنّا نتمنى ان يعرّبها احد الكهنة الشرقيين واذا بسيادة الحبر الجليل غريغوريوس هبرا رئيس اساقفة دمشق على السريان الكاثوليك قد قام بهذا العمل واصدر الجزء الاوّل من تلك التأملات على افضل خط وطبعها في مطبعة المرسلين البولسيين في حريصا طبعاً متقناً واضاف اليها مقدّمات مفيدة لحياة الكهنة الروحية. فلا ريب ان النفوس التقويّة ولاسيما الكهنة والرهبان والراهبات يقبلون على هذا القوت الروحي شاكرين سيادته لتقريبه الى قلوبهم

ل. ش

الدولة الاموية في قرطبة

تأليف انيس زكريّا النصولي

الجزء الاوّل: بغداد المطبعة العصرية ١٩٢٦ (ص ١٦٠)

انيس افندي هو مؤلف كتاب معاوية بن ابي سفيان الذي سُررنا بموافقته لآرائنا في حقّ ذلك الخليفة. ولا جرم فانّهُ احد الكتبة المحدثين الذين يبغون في تآليفهم ان يتبعوا الطرائق الانتقاديّة الجارية بين العلماء المستشرقين. ويا ليتهُ في هذا الكتاب الجديد لم يُخدَع بسراب الاندلس كغيره كثيرين فانهُ بجريه على آثار الكاتب الهولندي دوزي تبعهُ دون انتقاد كافٍ. فانَّ كثيرًا من مزاعم المذكور يردُّها اليوم ثقات الكتبة. ومن ثمَّ نُشير اليه بان يختار لتآليفه اموراً يمكنهُ ان يبرز غنّها من سمينها بمطالعاته الخاصّة ومراجعة النصوص الاصلية. ولا نشكّ انَّهُ بنشاطه وثقوب عقله سيفيدنا يوماً بتآليف علمية عصامية

الاب ه. لامنس

في سبيل التاج

للكاتب الافرنسي فرنسوا كوبه تعريب حليم افندي دموس

طبع في المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩٢٦ (ص ٨٩)

يودُّ كبار الكتبة لو يمكنهم ان يبثُّوا نتائج فكرتهم وعواطف قلبهم في اربعة اقطار المعمور وانَّما يحولدون رغبتهم نزوح البلاد وتباين الالسنة ما لم يتم مترجم بارع يكسو عجمتهم ثوباً تشيأ يعرفهُ اهل كلّ بلدٍ . وهذا ما قصدهُ نابغتنا حليم افندي دموس بتعريبهِ رواية فرنسوا كوبه الشهيرة «في سبيل التاج» فانَّهُ بامانة ترجمتهِ وبلاغة لسانهِ سوف يبعث في صدور الشرقيين تلك الخواطر الجليلة التي تهتزُّ لها صدور الافرنسيين كلّما يسمعون رواية شاعرهم فرنسوا كوبه في اصلها الافرنسيّ . فنحثّ كل ابناء الوطن على اقتنائها وارباب المدارس على تشخيصها.

ديوان الغلاييني

طُبع في حيفا في المطبعة العبّاسيّة سنة ١٩٢٥ (ص ٢٨٠)

عرفنا جناب الشيخ مصطفى الغلاييني وتآليفهُ المدرسيَّة والادبيَّة المتعدّدة . وها هوذا قد أطلعنا على نفثات قلمهِ الشعريَّة التي عُني بجمعها في مجلّد ضخم وكلُّها تُنبيء بما لناظمها من التفنن في المعاني والاساليب الشعريَّة والنظم الرائق المنسجم ولا نأسف الّا على ما وقع بينهُ وبين الانتداب من سوء التفاهم فذاق من جفائهِ ما كنَّا وددنا لو لم يلحق بمثلهِ اديباً وان تكن المحنة اورت زنادَ قريحتهِ واشعرت بآباء نفسهِ

النرجس وما قيل فيهِ نثراً ونظماً

جَمْع عبدالله مخلص نشرتهُ مجلة الزهرة الغرّاء

طُبع في مطبعة الزهرة (ص ٢٦)

للعرب في الزهور عموماً وفي النرجس خصوصاً اقوالٌ لطيفة وتشابيه بديعة لا يكاد يخلو منها كتاب قديم فأحسن جناب الفاضل عبدالله مخلص بجمعها في هذه الكريريسة التي لا ينقصها في آخرها سوى فهرس للشعراء المذكورين فيها ل.ش

سليم سركيس بقلم جرجي نقولا باز

طبع في المطبعة الادبية مع عدة تصاوير (ص ٣٠)

لصديقنا جرجي افندي نقولا باز ميزةٌ تدلُّ على فضلهِ واريحيته فانهُ لا يدع فرصةً تفوتهُ دون ذكر الادباء الذين يحقّ للوطن ان يفتخر بهم . وفي ترجمتهِ الاخيرة للكاتب الشهير المرحوم سليم سركيس فقيد الصحافة في ١٢ آذار بيّنةٌ جديدة على همّتهِ فانهُ وصف الرجل والكاتب المتفنّن احسن وصف ووفاهُ حقّهُ من الثناء الطيّب بعد تعريفهِ لاسرتهِ الكريمة اثابهُ الله

ل.ش

شذرات

اثرٌ مثبتٌ من ديوان المطران جرمانوس فرحات عثر القس الفاضل انطونيوس شبلي اللبناني في مجموعة خطية وجدها عند حفرة المؤرخ يوسف الشدياق في بلدة بشري بخطّ عبدالله الزوقي في السنة ١٨٢٩ تحتوي مع آثار ادبيّة مختلفة على مرثيتين للحبر العلّامة المثلث الرحمات المطران جرمانوس فرحات قالهما في تأبين احد المحسنين الى النصارى الشيخ ابرهيم حماده المتوالي . واذا بالواحدة منهما وهي اللاميّة قد سبقت الى نشرها مجلّة المشرق (٧ [١٩٠٤] : ٣٨٨-٣٨٩) والثانية شقيقتها لم تبرز بالطبع نوردها ها لئلا تعيبها يدُ الضياع

أوَيْكَ يا دهرُنا افجعتنا بفتًى ... من أُسرةٍ زانها فخرًا اذا انتسبا
أبى بأشجعَ ضرغامٍ وابرعَ مَن ... سما وأفصحَ مَن أنشا ومن كتبا
ان سلَّ عضبًا يمانيًا أفاحَ دمًا ... وهزَّ لدنًا رُدَينيًّا فقد لَعِبا
او صاح في جحفلٍ أجبٍ لطحطحهُ ... او نازلَ القِرنَ ردَّ القِرنَ مُنقلبا
دعاهُ مولاهُ إبراهيمَ فارتجفت ... أعداؤهُ فرَقًا واستصرخوا الهربا
ذو عزّةٍ تنطح الافلاكَ همَّتُهُ ... ونائلٍ وافرٍ يستطار الذهبا
ما جاءهُ سائلٌ تُدمى مَناسمهُ ... إلّا وأنساهُ من أُنسٍ أخًا وأبا
لا زال يجحدُ في آلائهِ كرمًا ... والدهر يحمدهُ في كلّ ما وهبا

واشتدَّ يجري الى العلياء مرتقياً حتى رمتهُ رزايا دهرهِ فكبا
يا طودَ حلمٍ دهاهُ البينُ منهدماً وسيفَ عزمٍ ثناهُ خطبهُ فنبا
مصيبةٌ لو رمت أحدًا بنبلتها لهدَّمتهُ وامسى صحصحاً خربا
ما كنتُ احسبُ ريبَ الدهر انَّ لهُ يدًا اذا مدَّها تستنزلُ الشهبا
حتى دهانا بابراهيمَ فاندرست من بعدهِ حسناتٌ خلتها سُحُبا
أسأتَ يا دهرنا فعلًا فأنت بهِ خصمٌ ظلومٌ أساءت القصد والأدبا
أرسلتَ فينا غُراب البين يرقبنا فكلَّما قام منا سيِّدٌ نعبا
آثارك السودُ تنبينا بانك من افعالك السوء ظرفٌ ملؤهُ غضبا
فاستغرقتْ شادناً تحاو شمائلهُ كأنَّ من مبسميهِ العطرَ والضربا
فكلما قيل فيهِ دون رفعتهِ كأنهُ البحر كم في بحرنا عجبا
محامدٌ زيَّنت منا مدائحهُ طرًّا كما زيَّنت من أصلهِ نسبا
فكلما زاد حسناً في مناقبهِ تزيد حزناً لتفريقٍ وذا وجبا
فالدهر أقسمُ والايامُ مدبرةٌ والمرء بينهما يستنظر الطلبا

﴿معرض القرون الوسطى في مكتبة باريس الوطنيَّة﴾ في مكتبة باريس جواهر لا يقدَّر لها ثمن ولا يعرفها الا بعض محبّي الآثار فعنَّ لمديرها المسيو رولان ماوسل ان يعرض للعموم تلك الآثار الراقية فيها الى القرون الوسطى. فكان لهذا المعرض اقبال عظيم تقاطر الى زيارتهِ الوف مؤلفة من الزوّار. فما اشدَّ ما كان اندهاشهم لما وجدوه من الطُّرَف التي قلَّما يصنع مثلها اهل العصر من مخطوطات جميلة مصوَّرة بفنّ عجيب. ومن مطبوعات عزيزة الوجود ومن مجلَّدات بصناعة تخلب نظر الناظرين ومن حتوم وانواط كلُّها تستوقف الزائرين بينها مصاحف صلوات طقسيَّة للكنائس مرصَّعة بالحجارة الكريمة وكتب صلوات للملوك ولامرا٠٠٠ وكان معهما آثار أخرى صناعيَّة من جملتها عرش الملك داغوبرت الذي جلس عليهِ نابوليون الاوَّل سنة ١٨٠١ في احدى الحفلات وهو من عمل القديس ايلوا (S^t Eloi) الشهير

﴿انجيل شرلماني﴾ بين التُّحف التي عُرضت في باريس في جملة المعرض السابق ذكرهُ انجيل على رقّ يُعدّ من آيات الصناعة تاريخهُ سنة ٧٨١ كتبهُ للامبراطور شرلماني ولقرينتهِ هادغوند احد معرّري بلاطهما المدعو غوديسكلك (Godescalc) وزيَّنهُ

بالتصاوير العجيبة التي تبهر النظر بجاسنها الرائعة وزاهي الوانها ولمّا شاهده الجنرال بوسنغ الاميركاني احد ابطال الحرب الكونية صرخ قائلاً: « لو كنتُ عرفت انّ في باريس كنزاً مثل هذا لكنت حاربتُ ببسالة اعظم لئلا يسقط في ايدي الجرمان »

﴿الخرافات المشاعة﴾ تأتينا من وقت الى آخر اوراق مطبوعة بالحروف او بآلة كتابيّة منها عربية ومنها افرنسية تحتوي اخباراً ملفّقة فهذا ينذرنا بقرب انتهاء العالم وذاك يبشر بنعم غريبة ويفرض الثالث فرائض مختلفة ايلام تاليها من الشرور التي تتهدّده ويروي الرابع صلاة وُجدت في قبر المسيح او قبر العذراء. فنحذّر القرّاء عن كلّ هذه الخزعبلات التي يشيعها بعض المتهوّسين اما طمعاً بالمال واما اقلاقاً للافكار ويا ليت رقباء المطبوعات يبحثون عن اصحابها ليكفّوا عن البسطاء شرّها

﴿اللغة التركيّة بالحروف اللاتينيّة﴾ يهتمّ الاتراك حاضراً في مسألة استبدال حروفهم العربيّة بالحروف اللاتينيّة. وليس في الامر غرابة كما يظنّ البعض فانّ في اللغة التركية اصواتاً لا شبيه لها بالحرف العربي وبين الحروف العربية ما يُكتب بالتركية ولفظهُ فيها غير لفظها العربي. وقد بيّنا سابقاً في المشرق (١٦[١٩١٣]: ٧٥٤) انّ الاتراك قبل اتخاذهم للحروف العربية كتبوا لغتهم بالحروف اليونانيّة والسريانيّة والرونيّة كما ان الارمن يكتبونها حاضراً بحروفهم الارمني. وممّا ذكرناه هناك (ص ٧٦١) ان الترك كتبوا لغتهم بالحروف المعروفة بالاويغوريّة المشتقّة من الكلدانية. ثمّ وصفنا (ص ٧٧١) اقدم كتاب يعرف اليوم بالتركيّة طُبع سنة ١٨٨١ في بودابست مكتوب بالحرف اللاتيني يُدعى بالصحف الكومساني (Codex Cumanicus) كتبهُ المرسلون اللاتين المبشرون للاتراك في جهات بحر الخزر والبحر الاسود فلا بأس من الرجوع اليها

﴿فصح الروم ومجمع نيقية﴾ بين القواعد التي قرّرها المجمع النيقوي ان يُحتفَل بعيد الفصح في الاحد الاوّل الواقع بعد البدر الاوّل التالي للاعتدال الربيعي. وهذا الاعتدال كان في هذه السنة في ٢١ اذار فاحتفلت الكنيسة الغربيّة بموجب هذا الامر ووفقاً للاصلاح الغريغوري في الاحد الواقع في ٤ نيسان. امّا الروم فلاجل تمسّكهم بحساب مغلوط خالفوا وصيّة المجمع النيقوي فاحتفلوا بعيدهم في الاحد الواقع بعد «البدر الثاني» التالي للاعتدال الربيعي اي في ٢ ايار فتأمّل

أسئلة وأجوبة

س سأل كاهن في الشرق ماذا يذكره التاريخ عن سميراميس ؟

سميراميس

ج تُعرَف ملكتان باسم سميراميس الواحدة وهميَّة والاخرى تاريخيَّة . فالوهميَّة على زعم اساطير الاولين كانت في الالف الثالث قبل المسيح قرينة الاله نينوس ملك بابل واشور تزوّجها هذا الملك لجمالها فقتلته وملكت بدلًا منهُ واستولت على كثير من البلاد ثمَّ ماتت وتحوَّلت الى حمامة طارت الى السماء . امَّا سميراميس التاريخيَّة فورد اسمها في الآثار الاشوريَّة كانت ملكة على بابل وزوجها الملك «سَمْسي أَدَد» في القرن التاسع قبل المسيح وهي امُّ الملك «أَددَميراريس» الرابع وكان الملك سلمناصر الثالث حَمَوها . امتازت بصفات ملكيَّة فبنى الناس عليها اخباراً وهميَّة نسبوها الى سالفتها

س وسأل مستفيد كم يبلغ في العصور عدد المتكلمين بالالمانية ؟

المتكلمون بالالمانية

ج اللغة الالمانيَّة اكثر اللغات انتشاراً بعد الانكليزيَّة والفرنسويَّة . فان عدد المتكلمين بها قريب من ٩٤ مليوناً منهم ٦٣ مليوناً في المانية ثم ٩ ملايين في الولايات المتحدة ثم ستة ملايين ونصف في النمسة و٣٫٣٥٠٫٠٠٠ في تشيكوسلوفاكية ومليونان و٦٠٠٫٠٠٠ في سويسرة ومليون ونصف في پولونية ومثلهُ عددهم في روسيَّة وفي فرنسة ونحو ثلثة ملايين متفرّقون في البلاد . فيبلغ المجموع نحو ٩٤ مليوناً

س وسُئلنا ما هو اوَّل كتاب نُشر بعد اكتشاف فنّ الطباعة على الحروف ؟

اوَّل كتاب طُبع على الحروف

ج هو كتاب التوراة تولّى طبعهُ المكتشف فنّ الطباعة غوتنبرغ سنة ١٤٥٦ . ولم يبق منهُ اليوم في العالم سوى ١٣ نسخة كاملة . بيعت الواحدة للمثري روزنباخ في نيويورك بثمن ١٠٦٫٠٠٠ دولار (اعني ٢٫٩١٥٫٠٠٠ فرنك) . والنسخة المذكورة كانت في احد اديرة البندكتيين في النمسة وهي مع ندرتها غاية في الجمال بتصاويرها ونقوشها الملوَّنة

ل . ش